رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الرابع

العالمية والدولة الإنسانية



أ. د عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

دين ودولة

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

[٤]

[العالمية]

والدولة المحمدية

رَسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

دين ودولة

[٤]

العالمية

والدولة المحمدية

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

ح عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

رسول الله وخاتم النبيين/عبد العزيز بن إبراهيم العُمري — الرياض، ١٤٣٢هـ

٥ مج

ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨(مجموعة)

٦- ٧٥٧٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨ (ج٤)

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١ ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

ص. ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ ، فاكس:٢٧٥٩٠٢٠

E-mail:*azizomary@hotmail.com*

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ
أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ
دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ﴾ [من الآية ٣ من سورة المائدة].

وفود القبائل:[1]

الوفـود جمـع وفـد وهـي الجماعـة المختـارة مـن القـوم، ليتقـدموهم في لقـاء العظمـاء والزعمـاء والمسـير إلـيهم وتمثيلهم في المهمات.[٢]

دعـوة الرسـول ﷺ عالميـة لكافـة النـاس ولـذلك فقـد حـرص ﷺ منـذ بدايـة دعوتـه علـى الاتصـال بالقبائـل أفـراداً وجماعات[٣]، وعرض الدعوة عليهم.

وقـد زاد هـذه الأمـر بعـد تضـييق قـريش علـى الرسـول ﷺ، فكـان يـدور علـى القبائـل في المواسـم يعـرض علـيهم الإسـلام، ويطلـب نصـرته. وكـان معـه في معظـم جولاتـه علـى القبائـل صـاحبه أبـو بكـر الصـديق ﷺ، وهـو ﷺ عـالم

(١) وضـع البخـاري في صـحيحه، في كتـاب المغـازي، عشـرة أبـواب في الوفـود، سماهـا بأسمـاء القبائـل، وتضـمنت مـا يزيـد علـى ثلاثـين حـديثاً، ج٥/١١٥، حتى ج٥/١٢٣، وألفت العديد من الكتب حلو الوفود.

(٢) انظر: النووي شرح صحيح مسلم، ج ١/ ١٨١

(٣) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب.

وانظـر: الثعـالبي؛ عبـدالعزيز، معجـز محمـد رسـول الله، (الفصـل الأول الرسـالة المحمديـة إلى الأمـم كافـة)، ط٣، دار الغـرب الإسـلامي، بـيروت، ١٤٠٦هـ، ج١/٢١

بالقبائل والأنساب.(١)

وقد تفاوتت ردود القبائل عليه، وكانت النتيجة شيوع خبر الرسول ﷺ والرسالة في مختلف القبائل، قابل الرسول ﷺ قبل الهجرة أفواجاً كُثر من مختلف القبائل ولم يبق حي من العرب إلا سمعوا بالرسول ﷺ ودعوته.(٢)

وبعد الهجرة انتشرت أخبار الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وخصوصاً بعد معركة بدر، وتزايدت الأخبار بعد الحوادث المختلفة ومراحل الصراع المتعددة مع قريش في مكة ويهود في المدينة.

وصلح الحديبية تضمن: (أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)،(٣) وبالتالي كان على القبائل القريبة من الأحداث اختيار أحد طرفي الصراع حليفاً لها، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخل بنو بكر

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص٣٨٧/٢.
(٢) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب .
(٣) انظر : صلح الحديبية من هذا الكتاب .

في عقد قريش، وكان اعتداء بنو بكر على خزاعة بمساعدة قريش علامة لنقض قريش لعهدها مع الرسول ﷺ مما أدى لفتح مكة، والقضاء على سلطة المشركين فيها .

وبعد الفتح أصبح الأمر واضحاً أمام كافة قبائل العرب في أن السيادة الوحيدة في جزيرة العرب للإسلام ونبيه ﷺ.

فبدأت وفود القبائل تتكاثر في السنة التاسعة حتى سمي بعام الوفود، (١) مع أن بعضاً منها وصل قبل ذلك العام، كما أن بعضها قدم مبكراً في السنة الخامسة للهجرة، ثم قدم مرة أخرى سنة تسع للهجرة.(٢) وكانت كل قبيلة تستعرض مكانتها وشرفها، حيث يخطب خطباؤهم وتلقى القصائد من شعرائهم، وكان الرسول ﷺ يأمر أناساً من أصحابه بالرد عليهم الخطبة بالخطبة، والقصيدة بالقصيدة، فكانت أهداف الرسول ﷺ إعلاء كلمة الله والدعوة إليه وإلى دينه ونشر القيم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥٥٩.
(٢) انظر: محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج ٥٤٢/٢.

والعدل، دون عصبية ولا فخر، ولذلك كانت نتائجها مذهلة وباهرة سامية المضمون أمام الآخرين ، عالية الهمة والمستوى، مما جعل وفود القبائل يقرون له ﷺ بذلك. وكان ﷺ يكرم الوفود ويجيزهم ويعلمهم ويأمر الصحابة بتعليمهم، كما كان ﷺ يعين عليهم عند مغادرتهم من يتدبر أحوالهم،(١) ويرتب زكواتهم يواسي فقراءهم من أغنيائهم ويكون أميراً عليهم ومعلماً لهم.

كما كان ﷺ يجيب على أسئلتهم المختلفة التي كثير منها يرتبط بواقع يعيشونه، أو طعام أو شراب يتناولونه، في مناطقهم أو قضايا محددة تقلقهم، وتخصهم دون غيرهم أحياناً.

وقد وقعت أثناء لقاءاتهم بالرسول ﷺ بعض الأحداث التي تنزلت فيها آيات من الكتاب، كما حصل

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، ج٦/٤٦

وانظر: وفد بني تميم من هذا الكتاب.

مع وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات.[١]

وقد ربط ابن هشام بين الوفود ونزول سورة النصر فقال: (أفواجاً يضربون إليه من كل وجه) يقول تعالى لنبيه: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [النصر].[٢]

وافد دوس (الطفيل بن عمرو): [٣]

دوس قبيلة يمنية تلتقي مع الأزد في النسب، تعود إلى زهران بن كعب وغلب عليها حالياً اسم زهران،[٤]

---

(١)صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، ج٦/٤٦وانظر: تفسير ابن كثير، ج ٢ / ١٧٤٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٠.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، ج٥/١٢٣.

انظر: ترجمته بتوسع عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٤٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/١٧٥

(٤) انظر: السمعاني، الأنساب، ج ٥ / ٣٦١.

ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٩.

وموطنها جنوب الطائف فيما يعرف حالياً،[١] بمنطقة الباحة، وكان لهم بها حصن مشهور، ولها مكانة بين قبائل العرب في حينها.[٢]

كانت قريش قبل هجرة رسول الله ﷺ حريصة على منع القادمين إلى مكة من السماع لرسول الله ﷺ. يروي الطفيل أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها: (فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق بين جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنّه ولا تسمعنّ منه شيئاً. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرسفا[٣] فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

---

(١) انظر: (بتاريخ ١٤٣٢/٥/١هـ www.ar.wikiPedia.org).

(٢) انظر: السمعاني، الأنساب، ج ٣٦١/٥.

(٣) الكُرسف هو: القطن .

قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال فسمعت كلاما حسنا قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولا حسنا، فاعرض علي أمرك.

قال فعرض علي رسول الله ﷺالإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: ((اللهم اجعل

له آية)).

قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية، قال حتى جئتهم فأصبحت فيهم قال فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخا كبيراً، قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني قال: ولم يا بني؟ قال قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قال: أي بني فديني دينك؟ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت لم؟ بأبي أنت وأمي، قال: قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ؟ قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي إلى حنا

ذي الشرى ــ قال ابن هشام: ويقال ــ حمى ذي الشرى ـ فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمىً حموه له، وفيه وشل من ماء يهبط من جبل. قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا، قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت: له يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال: ((اللهم أهد دوسا)) ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم. قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر. حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا

مع المسلمين).[١]

كان إسلام الطفيل كما هو واضح في مكة، حيث عاد بعدها داعية في قومه، وأسلم على يديه قلة واستعصت عليه القبيلة، فجاء مرة أخرى إلى الرسول ﷺ في المدينة وشرح له الوضع، وطلب منه أن يدعو على القوم إلا أنه دعا لهم كما جاء في رواية البخاري، حيث قال الطفيل: ((إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال: اللهم أهد دوساً وأتني بهم)).[٢] وقد أستجيبت دعوة رسول الله ﷺ فأسلمت دوس وجاء وفدها مع الطفيل بن عمرو ومعه سبعون أو ثمانون رجلاً من القوم، وقد كان الطفيل مع رسول الله ﷺ حين فتح مكة وبعثه رسول الله ﷺ لتحطيم بعض الأصنام في نواحي دوس،[٣] ثم كان مع رسول الله ﷺ حتى توفى ﷺ فشارك في القضاء على المرتدين في معارك

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ٣٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، (باب: قصة الطفيل بن عمرو الدوسي) ج٥/١٢٣.

(٣) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات ج ٢/ ١٥٧، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٨٥.

متعـــددة، حتـــى استشـــهد ﷺ في موقعـــة اليمامـــة في الســـنة الحادية عشر للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.[١]

وفد عبد القيس:- [٢]

عبـد القـيس قبيلـة مـن ربيعـة بـن نـزار،[٣] مـواطنهم في نـواحي البحـرين مـنهم حاضـرة وباديـة، كانـت صـلتهم بالإسـلام قديمـة، حيـث قـدم وفـد مـنهم قبـل السـنة الخامسـة للـهجرة، وفـيهم الأشـج بـن عبـد القـيس أحـد حكمـائهم، وقـد أثنـى الرسـول ﷺ عليـه بقولـه: ((إن فيـك خصـلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)).[٤]

وقـد كـان قـدوم الوفـد الأول في وقـت مبكـر مـن الصـراع بـين قـريش والرسـول ﷺ، فقـد ورد عنـد البخـاري في

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٢/ ٢٥٨؛ وانظـر: ترجمتـه في الإصـابة لابـن حجر، ج٢/٢٢٥

(٢) انظـر: صـحيح البخـاري، كتـاب المغـازي، بـاب وفـد عبـد القـيس، (ج٥/١١٦).

(٣) انظـر: ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج ١٦/ ٢٠٧، ابـن حـزم جمهـرة أنسـاب العرب ص ٢٩٥.

(٤) هـو : عبـدالله بـن عـوف، وقيـل المنـذر بـن عـوف؛ ابـن حجـر، الإصـابة، ج٢/٣٥٦.

صحيحه باب سماه ((باب وفد عبد القيس))، [١] أورد فيه حديثاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا قال: (آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع)، الإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس وأنهاكم عن أربع ما انتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت). [٢] وكان هذا الوفد قد جاء بإسلام قوم من بني عبد القيس. [٣]

كان فيهم الجارود بن عمرو، الذي رغب في الإسلام

---

(١) صحيح البخاري(٥/١١٦).

(٢)رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبدا لقيس، ج١/١١٦؛ وانظر : ابن هشام، السيرة النبوية، (٤/٥٧٥).(وهذه أنواع من الأواني ينتبذ فيها الخمر)

(٣) انظر : صحيح البخاري، (٥/١١٦)؛ وابن هشام، السيرة النبوية، (٣/٥٧٥).

وكان على النصرانية، فقال: إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه)).(١) وقد حسن إسلام هذا الوفد من عبد القيس ونقلوا الإسلام إلى (جواثا) في البحرين وما حولها، ولذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثى يعني قرية في البحرين).(٢)

وقبل مغادرتهم إلى البحرين طلبوا من الرسول ﷺ الحِمْلان، فاعتذر إليهم ((ما عندي ما أحملكم عليه))،(٣) فقالوا: يا رسول الله: فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أفنتبلغ بها إلى بلادنا؟ فنهاهم الرسول ﷺ عنها. وقال: إنما هي حرق النار، وهكذا

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/٢١٦، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٧٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/١١٦.(ولا يزال مسجد جواثا بآثاره القديمة معروف إلى اليوم في الإحساء في ناحية من القطيف المدينة المشهورة حالياً وقد وقفت عليه بنفسي)

(٣)ابن هشام، السيرة النبوية،ج٤/٥٧٥.

علمهم الرسول ﷺ حرمة أموال الناس ، فرغم حاجتهم وكون هذه الضوال في الصحراء لا أحد يعلم مالكها ، ومع ذلك نهاهم عنها.[(١)] وذكر أن الرسول ﷺ أثنى عليهم قبل وصولهم فقال : ((سيطلع عليكم من هاهنا وفد هم خير أهل المشرق))، [(٢)] فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً فبشرهم .

وهكذا رجع القوم بأحسن دين وأحسن أخلاق وأمانة. وحين حدثت الردة في المنطقة وفي قومهم بعد وفاة الرسول ﷺ بتأثير المناذرة الذين سعوا إلى ردتهم وعودتهم إلى النصرانية ، قام فيهم الجارود فخطب فيهم ودعاهم إلى الإسلام ، وأعلن ثباته عليه وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه يُكفر من لم يشهد بذلك.[(٣)]

وفد ثقيف:-

ثقيف تعود إلى هوازن من مضر.[(٤)] كانت تسكن

(١)رواه مسلم، وانظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية ج١/٩٠

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٥.

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٣ / ١٣٤، وأنظر ابن حزم، جمهرة أنساب

الطــائف، أقــرب المــدن إلى مكــة، وأكثرهــا علاقــة بهــا، والطــائف طيبــة الهــواء غزيــرة الإنتــاج الزراعــي، ذات أوديــة زراعيــة منتجــة ومشــهورة، كــان تجــار مكــة يتخــذون فيهــا المــزارع والمتنزهــات، يفــرون إليهــا مــن حــر مكــة في فصل الصيف.(١)

وكانت هوازن تجاور ثقيفاً في الطائف وما حولها إلا أن السيطرة على داخل الطائف كانت لثقيف، فكانت ثقيف حاضرة الطائف، وهوازن باديتها، ثقيف على الشرك يعبدون اللات الصنم العربي المشهور،(٢) الذي نزل فيه قوله ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم]. وقد شاركت ثقيف ضد الرسول ﷺ في غزوة حنين مع هوازن وغيرها من القبائل،(٣) وانتهت المعركة بانتصار المسلمين عليهم بعد اضطراب في المعركة، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

العرب ص٢٦٦.

(١) يــاقوت الحمــوي، معجــم البلــدان، ج١١/٤ و الــبلادي، معجــم معــالم الحجاز ج٢٢٤/٥

(٢) البكــري، معجــم مــا اســتعجم، ج٨٨٦/٣؛ يــاقوت الحمــوي، معجــم البلدان، ج١١/٤؛ البكري، معجم ما استجم، ج٨٨٦/٣.

(٣) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. ص ٤٩١.

أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة].

ثم سار ﷺ إلى الطائف في شوال سنة ثمان للهجرة، بعد حنين، وحاصرها قرابة العشرين يوماً فاستعصت عليه، رغم استعماله للدبابة والمنجنيق، وساهمت أسوار الطائف في منعتها.

وبعد رؤيا رآها ﷺ أدرك أن الطائف لن تفتح الآن فغادرها عائداً إلى مكة.(١)

وعند الجعرانة كان ﷺ قد جمع الغنائم فيها، أتاه وفد من هوازن وهم بادية الطائف ولهم أسرى من غزوة حنين وهم ذليلون مستشفعين برسول الله ﷺ طالبين أن يرد أموالهم وسباياهم، فخيرهم ﷺ بين الأموال أو السبايا فاختاروا السبايا، فأطلق الرسول ﷺ

(١) انظر : غزوة حنين وحصار الطائف من هذا الكتاب.

ما له ولآله من السبايا، فتأسى بهم المسلمون وأعتقوا سبي هوازن، وكان زعيمهم مالك بن عوف فاراً عند ثقيف في الطائف فأبلغ ﷺ قومه: أنه إن جاء مسلماً تائباً رد عليه ماله وأهله ومائة من الإبل، فسمع مالك بذلك، فجاء إلى الرسول ﷺ تائباً مادحاً للنبي ﷺ، فاستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف والتضييق عليهم في الطائف، حيث كانت ملجأ للفارين بعد فتح مكة، فأخذ يضيق على ثقيف ويغزوها، فضاقت بهم الحال، وفي الوقت نفسه قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ مسلماً، وكان محبوباً في قومه، فخرج إليهم في الطائف يدعوهم إلى الإسلام (فلما أشرف على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل لعروة ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني فيهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: ((إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه)).

(١)

ثـم أن ثقيفـاً بعـد هـذه الحادثـة بأشـهر اقتنعـت أن لا طاقـة لهـا بحـرب رسـول الله ﷺ، فأعـدوا وفـداً يترأسـه عبـد يـا ليـل بـن عمـرو بـن عمـير (فلمـا دنـوا مـن المدينـة، ونزلـوا قنـاة،[٢] ألفـوا بهـا المغـيرة بـن شـعبة، يرعـى في نوبتـه ركـاب أصـحاب رسـول الله ﷺ، وكانـت رعيتهـا نوبـاً علـى أصـحابه ﷺ، فلمـا رآهـم تـرك الركـاب عنـد الثقفـيين وأخـذ يشـتد، ليبشـر رسـول الله ﷺ بقـدومهم عليـه، فلقيـه أبـو بكـر الصـديق قبـل أن يـدخل علـى رسـول الله ﷺ فـأخبره عـن ركـب ثقيـف أن قـد قـدموا يريـدون البيعـة والإسـلام بـأن يشـرط لهـم رسـول الله ﷺ شـروطاً، ويكتتبـوا مـن رسـول الله ﷺ كتابـا في قـومهم وبلادهـم وأمـوالهم، فقـال أبـو بكـر للمغـيرة: أقسـمت عليـك بـالله لا تسـبقني إلى رسـول الله ﷺ حتـى أكـون أنـا أحدثـه ففعـل

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٥٣٨/٤، ابـن حجـر، الإصـابة، (٤٧٨/٢).

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٥٣٩/٤ (وقنـاة مـن أكـبر أوديـة المدينـة وأخطرهـا تحـيط بـه المـزارع، عليـه عـدد مـن السـدود ويقـع بـالقرب مـن قبـور شـهداء أحـد ويرفـده عـدد مـن الشـعاب النازلـة مـن الجبـال-عبـد العزيـز كعكي؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ج٢م٢ ص٦٣٤-)

المغـــيرة، فـــدخل أبـــو بكـــر علـــى رســـول الله ﷺ.[١] فـــأخبره بقـدومهم عليـه، ثـم خـرج المغـيرة إلى أصـحابه فـروح الظهـر معهـم، وعلمهـم كيـف يُحيـون رسـول الله ﷺ، فلـم يفعلـوا إلا بتحية الجاهلية.

ولمـا قـدموا علـى رسـول الله ﷺ وسـلم ضـرب علـيهم قُبـة في ناحيـة مسـجده، فكـان خالـد بـن سـعيد بـن العـاص هـو الـذي يمشـي بيـنهم وبـين رسـول الله ﷺ حتـى اكتتبـوا كتـابهم، وكـان خالـد هـو الـذي كتـب كتـابهم بيـده، وكـانوا لا يطعمـون طعامـا يـأتيهم مـن عنـد رسـول الله ﷺ حتـى يأكـل منـه خالـد، حتـى أسـلموا وفرغـوا مـن كتـابهم، وقـد كـان فيمـا سـألوا رسـول الله ﷺ أن يـدع لهـم الطاغيـة، وهـي (الـلات) لا يهـدمها ثـلاث سـنين، فـأبى رسـول الله ﷺ ذلـك علـيهم، فمـا برحـوا يسـألونه سـنة سـنة ويـأبى علـيهم، حتـى سـألوا شـهراً واحـداً بعـد مقـدمهم، فـأبى علـيهم أن يـدعها شـيئا يسـمى، وإنمـا يريـدون بـذلك فيمـا يظهـرون أن يَسْـلَموا بتركهـا مـن سـفهائهم ونسـائهم وذراريهـم، ويكرهـون أن يروعـوا قـومهم بهـدمها حتـى يَدُخلـهم الإسـلام، فـأبى رسـول الله ﷺ إلا أن يبعـث أبـا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٣٩.

سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ((أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة)).[١]

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن،[٢] وقد بقي أميراً عليها بقية عهد النبي ﷺ، ثم طيلة خلافة الصديق بعد ذلك.[٣]

وقد تعلم الوفد شيئاً من القرآن وأمور الدين، ووافق الرسول ﷺ على أن يتولى هدم اللات غيرهم، على أن لا تقر لحظة واحدة، وبعث معهم وفداً مهمته هدم الصنم في

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٤٠.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٣٩، ٥٤٠ .
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.

حمايـة مـن قـومهم حتـى يقـوم بهـدمها ، فبَكـت علـى الصـنم نسـاء مـن ثقيـف ، [١] ثـم انتشـر الإسـلام بـين ثقيـف وأهـل الطـائف الحاضـرة ، فكـان أهلـها ممـن ثبتـوا علـى الإسـلام بعـد وفاة الرسول ﷺ ولم يرتدوا. [٢]

وافد بنو سعد بن بكر:-

بنـو سـعد بـن بكـر هـم فـرع مـن هـوازن المضـرية ، [٣] ومـواطنهم جنـوب الطـائف ، استرضـع فـيهم الرسـول ﷺ ، وقـد أورد ابـن هشـام قصـة وفادتـه ممـثلاً قومـه حيـث قـال : بعثـت بنـو سـعد بـن بكـر (ضـمام بـن ثعلبـة) وافـداً إلى رسـول الله ﷺ فقـدم عليـه وأنـاخ بعـيره علـى بـاب المسـجد ثـم عقلـه ثـم دخـل المسـجد ورسـول الله ﷺ جـالس في أصـحابه. وكـان ضـمام رجـلاً جلـداً أشـعر ذا غـديرتين ، فأقبـل حتـى وقـف علـى رسـول الله ﷺ في أصـحابه فقـال : (أيكـم ابـن عبـد المطلـب؟ قـال : فقـال : رسـول الله ﷺ " أنـا ابـن عبـد المطلـب. قـال أمحمـد؟ قـال : نعـم ، قـال : يـا ابـن عبـد المطلـب ، إنـي سـائلك ومغلـظ عليـك في المسـألة فـلا تجـدن في نفسـك ، قـال :

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٤٢.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٥.

لا أجـد في نفسـي، فسـل عمـا بـدا لـك، قـال: أنشـدك الله إلهـك وإلـه مـن كـان قبلـك، وإلـه مـن هـو كـائن بعـدك، آلله بعثـك إلينـا رسـولا؟ قـال: "اللـهم نعـم"، قـال فأنشـدك الله إلهـك وإلـه مـن كـان قبلـك، وإلـه مـن هـو كـائن بعـدك، أ الله أمـرك أن تأمرنـا أن نعبـده وحـده لا نشـرك بـه شـيئا، وأن نخلـع هـذه الأنـداد الـتي كـان آباؤنـا يعبـدون معـه؟ قـال: "اللـهم نعـم"، قـال : فأنشـدك الله إلهـك وإلـه مـن كـان قبلـك، وإلـه مـن هـو كـائن بعـدك، آلله أمـرك أن نصـلي هـذه الصـلوات الخمـس؟ قـال: "اللـهم نعـم، قـال: ثـم جعـل يـذكر فـرائض الإسـلام فريضـة فريضـة،الزكاة، والصـيام، والحـج، وشـرائع الإسـلام كلـها، ينشـده عنـد كـل فريضـة منهـا كمـا ينشـده في الـتي قبلـها، حتـى إذا فـرغ قـال: فـإني أشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأشـهد أن محمـداً رسـول الله، وسـأؤدي هـذه الفـرائض واجتنـب مـا نهيـتني عنـه، ثـم لا أزيـد ولا أنقـص، ثـم انصـرف إلى بعـيره راجعـا. قـال: فقـال رسـول الله ﷺ : ((إن صـدق ذو العقيصتين دخل الجنة)).[1]

---

(١) ابن هاشم، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٤.

(والعقيصة مجموعة من الشعر تربطا بتداخل وتجعل كرمانة من خلف الرأس؛ المعجم الوسيط، ص٦١٥)

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئس اللات والعزى قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، قال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .[١]

وهكذا كان هذا الأعرابي واضحاً في أسئلته ، مصدقاً لما دعاه إليه النبي ﷺ حاملاً الخير لقومه ، مُباركاً في دعوته لهم ، عرفوه وصدقه فصدقوا ما حمله من إيمان ، فكان كما قال ابن عباس ﷺ : (ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة).[٢]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤ / ٥٧٣،٥٧٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٥٧٤/٤.

وفد بني تميم :- [(١)]

إحـــدى القبائـــل العدنانيـــة ، ينتســـبون إلى مـــر بـــن أد ، وهـــي مـــن أكـــبر قبائـــل العـــرب ، [(٢)] مـــواطنهم في البحـــرين وشرقي نجد ونواحي الإحساء. [(٣)]

وقـد جـاء وفـدهم في السـنة التاسـعة للـهجرة بعـد عـودة الرسـول ﷺ مـن غـزوة تبـوك ، وقـد ذكـر أنَّ لهـم وافـداً أو أفـراداً مثلـوا قـومهم قبـل هـذا العـام. وقـد وضـع البخـاري في صـحيحه بابـاً سماهـا ((بـاب وفـد بـني تمـيم)) أورد فيـه عدة أحاديث. [(٤)]

قـدم وفـدهم علـى رسـول الله ﷺ في المدينـة بعـد عودتـه مـن غـزوة تبـوك ، وكـان وفـدهم مـن أشـهر وفـود القبائـل علـى رسـول الله في الأحـداث ، وفـيهم زعمـاء مشـهورين

---

(١) انظـر : صـحيح البخـاري، كتـاب المغـازي بـاب وفـد بـني تمـيم، ج٤/١١٥.

(٢) ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج ١٦ / ٢٠٥؛ ابـن حـزم، جمهـرة أنسـاب العرب، ص٢٠٧.

(٣) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٤/٥٧٥؛ الهمـداني، صـفة جزيـرة العـرب، ص٢٨١.

(٤) (٤/١١٥-١١٦)

علـى مسـتوى القبائـل العربيـة، مـنهم الأقـرع بـن حـابس، والزبرقـان بـن بـدر، والحبحـاب بـن يزيـد، وعطـارد بـن حاجب، وعيينة بن حصن وغيرهم.[١]

ولما وصل الوفد إلى المدينة كان ﷺ في حجرات أمهات المؤمنين، فدخلوا المسجد وأخذوا ينادون رسول الله ﷺ: (أن أخرج علينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين)، [٢] فتأذى رسول الله ﷺ من قولهم ذلك وقال: ذاك الله عزّ وجل، [٣] وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجرات].

وبعد خروج الرسول ﷺ طلبوا أن يأذن لخطيبهم عطارد بن حاجب، فألقى خطبة جاء فيها: الحمد لله الذي له الفضل والمن علينا وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها بالمعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، واستمر في مدح

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٦٢

(٣) المصدر السابق .

بني تميم حتى فرغ من خطبته.[(١)]

فلما فرغ أمر الرسول ﷺ ثابت بن قيس بن الشماس بإجابته فقام ﷺ خطيباً وكان مما قال: الحمد لله الذي السموات والأرض من خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من علمه ... وواصل خطبته التي كانت مليئة بالإيمان والصدق والدعوة إلى الله تعالى والثناء على الله ورسوله ﷺ.[(٢)]

بعد ذلك قام شاعر تميم (الزبرقان بن بدر) وألقى قصيدة أمام رسول الله ﷺ، كانت مركزة على الفخر بقومه بني تميم ومنها:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا

منا الملوك وفينا تنصب البيع[(٣)]

فدعا الرسول ﷺ حسان بن ثابت أن يجيبه بعد فراغه، فقال حسان ﷺ قصيدة عصماء منها:

---

(١) انظر: نص الخطبة عن بن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٦٢.
(٢) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٦٢.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤ / ٥٦٤.(البيعة تأتي بمعنى التولية وتنصيب الأمراء والملوك؛ المعجم الوسيط، ص٧٩)

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وكل الخير يصطنع[(١)]

فكانت معاني حسان تحمل معاني الإسلام السامية، والفخر بها وبرسول الله ﷺ، وقيل إنه تبودلت قصائد أخرى بين الزبرقان وحسان ﷺ، فلما فرغوا قال الأقرع بن حابس (وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا).[(٢)]

وقد أسلم القوم وتعلموا من رسول الله ﷺ، وأمر بعض الصحابة بتعليمهم، وكانوا يسألون رسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: ((أتى نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال:

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤ / ١٧٥، ١٧٦
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤ / ٥٦٧.

أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا يا رسول الله قد بشّرتنا فأعطنا، فرئي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن فقالوا: أقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله)).(١)

وحينما أراد الوفد العودة إلى ديارهم أجازهم الرسول ﷺ، وكان لأبي بكر ولعمر رأيان مختلفان حول تعيين أمير على القوم فقد روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات] حتى انقضت).(٢)

---

(١)انظر: صحيح البخاري، باب وفد بني تميم، حديث رقم: ٤٣٦٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير " سورة الحجرات "، باب ولا ترفعوا، ج٦/٤٦؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج٢/١٧٤٣.

وفد بني عامر:-

بنو عامر بن صعصعة من قيس عيلان من مضر.[١] يقيمون في نواحي نجد القريبة من المدينة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أناساً من أصحابه لدعوتهم، فقتلوا في حادثة بئر معونة المشهورة.[٢]

وقد قدم وفد من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل، وهو ممن قاتل أصحاب النبي ﷺ في بئر معونة، وكان أعرابياً قاسياً، فطلب منه النبي أن يسلم فقال: ما تجعل لي إن أسلمت فقال ﷺ: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فقال للنبي ﷺ: اجعل لي الأمر من بعدك فقال ﷺ: ((ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر[٣]، فقال ﷺ: لا، قال عامر: لا، ثم هدد الرسول ﷺ قائلاً: أما لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، فقال ﷺ: يمنعك الله (اللهم اكفني عامر بن الطفيل)، فأصيب

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢ /٢٧١.

(٢) انظر : حادثة بئر معونة من هذا الكتاب .

(٣) الوبر، يقصد به البادية نسبة إلى رعاة الإبل وهي ذات الوبر، والمدر هم أهل القرى

بغدة في عنقه، كان يصيح منها ومرض في بيت سلولية، ثم كره الموت في بيتها فركب فرسه خارجاً وهو يقول: أغدة كغدة الإبل، وموت في بيت سلولية وسار عليه حتى مات)).(١)

وكان معه في الوفد أربد بن قيس، وهما ينويان اغتيال النبي ﷺ، وعاد إلى قومه، وكان سيئ الأدب مع الله حتى أنه قال: لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل، فخرج بعد ذلك بيوم أو يومين فأصابته صاعقة فأحرقته وقيل: نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد].(٢)

وفد بني حنيفة:(٣)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج١/ ١٠٠٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١/ ١٠٠٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية. ج٤/٥٦٨.

(٣) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٥/١١٧.

بنـو حنيفـة قبيلـة تنتسـب إلى لحـيم بـن صـعب مـن بـني بكر بن وائل.(١)

كانـت مـواطن بـني حنيفـة في اليمامـة في الـوادي المشـهور بـاسمهم ومـا يتفـرع منـه، وكانـت منـاطق زراعيـة مشـهورة بإنتـاج القمـح والتمـور وغيرهـا يصـل إنتاجهـا إلى مكـة،(٢) وبالتـالي وجـد بينهـا وبـين قـريش شـيء مـن التبـادل التجـاري. وقبـل فـتح مكـة أُسـر أحـد زعمـائهم وهـو ثمامـة بـن أثـال، روى للبخـاري عـن أبـي هريـرة ﷺ قـال: بعـث الـنبي ﷺ خـيلا قبـل نجـد فجـاءت برجـل مـن بـني حنيفـة يقـال لـه ثمامـة بـن أثـال، فربطـوه بسـارية مـن سـواري المسـجد، فخـرج إليـه الـنبي ﷺ فقـال: مـا عنـدك يـا ثمامـة فقـال: عنـدي خـير يـا محمـد: إن تقـتلني تقتـل ذا دم وإن تُـنعم تـنعم علـى شـاكر، وإن كنـت تريـد المـال فسـل منـه مـا شـئت، فتُـرك حتـى كـان الغـد، ثـم قـال لـه: مـا عنـدك يـا ثمامـة؟ قـال: مـا قلـت لـك إن تُـنعم تـنعم علـى شـاكر، فتركـه حتـى كـان بعـد الغـد فقـال: مـا عنـدك يـا ثمامـة ؟

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٩.

(٢) انظـر: عبـدالله بـن محمـد بـن خمـيس، معجـم اليمامـة، الطبعـة الثانيـة، الرياض ١٤٠٠هـ

فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.(١)

وقد خص البخاري شخص ثمامة بن أثال بالمشاركة في عنوان باب ("وفد بني حنيفة بعد إسلامه، وكيف رأى ثمامة صدق رسول الله ورحمته وحسن معاملته" لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلي، ولقد أصبح وهو

---

(١) رواه البخاري، باب وفد بني حنيفة، ج ٤ / ١١٧، ١١٨.

أحب الوجوه إليّ).[١]

وبعد إسلامه خرج إلى مكة معتمراً. وقد علمت قريش بإسلامه فأخذوه وآذوه ثم خلوا سبيله، خشية أن يؤثر ذلك في استيرادهم للطعام من اليمامة، وبالفعل لما وصل إلى اليمامة منعهم أن يحملوا الطعام إلى مكة ويجلبوا عليها شيئاً، فتضرر المكّيون، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ في ذلك مذكرين إياه بصلته للرحم، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين شراء الطعام من اليمامة.[٢]

وكان ذلك جُزءاً من الحصار الاقتصادي لمكة، وكان لإسلام ثمامة من بني حنيفة دور في وصول الدعوة إلى اليمامة مواطن بني حنيفة، وتأثر أُناس منهم وسماعهم بالدعوة ومضمونها.

وفي السنة التاسعة من الهجرة كان ضمن الوفود التي قدمت على رسول الله وفد من بني حنيفة، منهم

---

(١) البخاري، ج٤/١١٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٣٩.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٣٩.

أنـاس[١] مـن أشـرافهم، معهـم مسـيلمة الكـذاب، قبـل إدعائه النبوة وفي بداية تفكيره بذلك.

وقـد أنـزلهم الرسـول ﷺ في دار (رملـة بنـت الحـارث)، وكانـت معـده لضـيوف رسـول الله ﷺ، فجـاءهم رسـول الله ﷺ وفي يـده جريـدة مـن نخـل، ومعـه بعـض الصـحابة فـيهم (ثابـت بـن قـيس بـن شمـاس)، فوقـف عليـه رسـول الله ﷺ فكلمـه،[٢] ولعـل روايـة البخـاري الأخـرى في تفاصـيل الحادثـة أبلـغ مـن أن تشـرح، فقـد روى ابـن عبـاس (رضـي الله عنهمـا) قـال: (قـدم مسـيلمة الكـذاب علـى عهـد رسـول الله ﷺ فجعـل يقـول: إن جعـل لـي محمـد الأمـر مـن بعـده تبعتـه، وقـدمها في بشـر كـثير مـن قومـه، فأقبـل إليـه رسـول الله ﷺ ومعـه ثابـت بـن قـيس بـن شمـاس، وفي يـد رسـول الله ﷺ قطعـة جريـد حتـى وقـف علـى مسـيلمة في أصـحابه فقـال: لـو سـألتني هـذه القطعـة مـا أعطيتكهـا، ولـن تعـدو أمـر الله فيـك، ولـئن أدبـرت ليعقرنـك الله، وإنـي لأراك الـذي أُريـت فيـه مـا رأيـت،

---

(١) انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج٥/١١٨.

(٢) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب قصـة الأسـود العنسي، ج٥/١١٩.

وهـذا ثابـت يجيبـك عـني ، ثـم انصـرف ﷺ عنـه قـال ابـن عبـاس : فسـألت عـن قـول رسـول الله ﷺ إنـك أرى الـذي أُريت فيه ما أُريت. (١)

. وورد في الرؤيـا الـتي رآهـا رسـول الله ﷺ كمـا روى البخـاري عـن أبـي هريـرة ﷺ يقـول : (قـال رسـول الله ﷺ : بينـا أنـا نـائم أتيـت بخـزائن الأرض فوضـع في كفـي سـواران مـن ذهـب فكـبرا علـي ، فـأوحى الله إلـي أن انفخهمـا فنفختهمـا فـذهبا فأولتهمـا الكـذابين اللـذين أنـا بينهما ، صاحب صنعاء وصاحب اليمامة.(٢)

كان رد رسول الله حاسماً وقوياً أمام ذلك الكذاب.

اشـترك بنـو حنيفـة في العنـاد مـع مسـيلمة حـين ادعـى النبـوة فتبعـه بنـو حنيفـة بعـد عودتـه إلى اليمامـة عصـبية حيـث قـال أحـدهم : (أشـهد إنـك كـاذب ، ولكـن كـذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر) . (٣)

---

(١) انظـر: روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب وفـد بـني حنيفـة، ج(١١٨/٥).

(٢) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب وفـد بـني حنيفـة، ج١١٨/٥.

(٣) الطبري، تاريخه، حوادث السنة الحادية عشر ج٣/ ٥١٤،.

وقد كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون).[١]

ورد عليه رسول الله ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)). وقد كانت مكاتبته للنبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة.[٢]

وقد قويت شوكة مسيلمة ومن معه، وهدد المسلمين في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان من أوائل أعمال أبي بكر الصديق ﷺ القضاء على المرتدين، فأرسل ثلاثة جيوش لمحاربة مسيلمة، الذي ازدادت قوته بعد انضمام قبائل أخرى منها بنو تميم لفترة مؤقتة إليه، إلى أن تمكن المسلمون من القضاء على ردته في معركة اليمامة المشهورة التي استشهد فيها عدد كبير من

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٨.

أصحاب رسول الله ﷺ تجاوز الثلاثمائة فيهم عدد كبير من الأنصار وكان فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر (رضي الله عنهما) وأبو دجانة وغيرهم.[(١)]

وفود اليمن:-

اليمن تشمل منطقة واسعة. وفي العصر النبوي وجد بها قبائل شتى. وكانت علاقة تلك المناطق بما فيها من قبائل وأفراد ومدن بالرسول ﷺ وبالإسلام في وقت مبكر من مبعثه ﷺ وقبل هجرته إلى المدينة المنورة، وكانت للقبيلة الواحدة أو المدينة الواحدة وفود متفرقة، وأحداث ذات صلة بالنبي ﷺ متعددة مما يصعب وضعها في إطار واحد.

وكان لإرسال النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ وبعض أمرائه إلى اليمن دور في قدوم مزيد من الوفود في أواخر حياة النبي ﷺ.[(٢)] ومن أهم تلك الوفود: -

(١) راجع تفصيلات المعركة في الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبدالعزيز العمري، ص ١٠٣؛ والطبري، تاريخه، ج٣/٢٥٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٢؛ مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية،ص ٦٧٦.

وفد الأشعريين:-

ينتسبون إلى أشعر بن زيد بن كهلان بن سبأ وموطنهم باليمن.(١)

وحين أقبل وفدهم وفيهم أبو موسى الأشعري ﷺ قال ﷺ: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً والإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية)).(٢)

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض)).(٣)

كان فيهم إيمان وصدق وقبول لقول وأمر رسول الله ﷺ دون تردد، وكان وصولهم مع وفد بني تميم في وقت واحد. عن عمران بن حصين ﷺ قال: (أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ فقال: أقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا يا رسول الله ﷺ بشرتنا فأعطنا؟ فرُئي ذلك في وجهه ﷺ، فجاء نفر من اليمن فقال: أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٢) رواه مسلم، انظر ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧؛ ورواه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥/١٢٢.

(٣) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧.

تميم قالوا: قبلنا يا رسول الله).(١)

وقد ورد أنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ ويسألونه عن أشياء ومنها سؤال عن بدء الخلق فكان مما قاله النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)).(٢)

ويتضح من الروايات سبق إسلامهم، قبل وصول وفدهم إلى النبي ﷺ، بل ومشاركة بعض منهم في الهجرة الى الحبشة وفي فتح خيبر.(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥/١٢٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، ج٤/٧٣.

(٣) انظر : فتح خيبر من هذا الكتاب .

وافد مراد (فروة بن مسيك): -

مـراد قبيلـة مذحجيـه مـن كهـلان مـن سـبأ الحميريـة،[١] وتقطـن الـيمن وتجاورهـا همـدان، وتعـد تابعـة لملـوك كنـده في المنطقة.[٢]

وقـد قـدم فـروة بـن مسـيك المـرادي علـى رسـول الله ﷺ في المدينـة المنـورة مسـلماً في السـنة التاسـعة للـهجرة، وتحـدث مـع رسـول الله ﷺ عـن مصـاب قومـه في معـاركهم مـع همـدان، فقـال لـه ﷺ: ((أمـا إن ذلـك لم يـزد قومـك في الإسلام إلا خيراً)).[٣]

واسـتعمله الرسـول ﷺ علـى عـدد مـن القبائـل المجـاورة، منهـا زَبيـد ومُـراد ومـذحج، وبعـث معـه خالـد بـن سـعيد بـن العـاص علـى الصـدقات، فكـان يقـوم بهـذه المهمـة في بلادهـم حتـى تـوفي رسـول الله ﷺ.[٤] وقـد حـدثت ردة في زبيـد بعـد وفـاة الرسـول ﷺ فـآذوا فـروة بـن مسـيك المـرادي

---

(١) ابن حزم، جهرة أنساب العرب، ص ٤٠٦، ٤٠٧.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨١.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٣.
(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨٣.

وسبوه بشعرهم،[١] ولكن القوم عادوا إلى الإسلام بعد جهاد المرتدين في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وحسن إسلامهم وشاركوا في الفتوح المختلفة للشام والعراق وغيرها:

وفد همدان:-

همدان قبيلة يمنية تعود إلى كهلان بن سبأ.[٢] موطنها اليمن في نواحي السكون[٣] وحاشد، وتجاور الأشعريين.[٤] وقد وصل بعضهم إلى مكة، واتصلوا بالرسول ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى وسمعوا منه، كغيرهم أثناء عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل قبل الهجرة،[٥] حتى زادت معرفتهم بالإسلام وتراكمت.

فقدم وفدهم إلى المدينة المنورة في السنة التاسعة

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٨١/٤.

(٢) ابن حزم، جهرة انساب العرب، ص ٣٩٢.

(٣) السكون والسكاسك مخلاف في اليمن ينسب إلى قبيلة بنفس الاسم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢٢٩/٣.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠١ و١٠٥.

(٥) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب .

للهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك،[١] وفيه عدد من زعمائهم، ولهم ملابس خاصة ومراكب مميزة: (عليهم مقطعات الحبرات، والعمائم العدنية برحال الميس، على المهرية والأرحبية).[٢]

والقوم يرتجزون بأبيات شعرية، وقد لفت مظهرهم ونشيدهم أنظار أهل المدينة، فجاءوا مقرين لرسول الله ﷺ، فقام مالك بن نمط زعيمهم فقال: (يا رسول الله ﷺ نصية[٣] من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام شاكر، أهل السود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات والأنصاب، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع).[٤]

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣٤١/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٨٨/٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥٩٧/٤، ٥٩٨.(ورحال الميس رحال مصنوعة من خشب الميس ، والمهرية والأرحبية: إبل تنسب لإلى قبيلة مهرة باليمن وقبيلة أرحب"ابن هشام، ج٥٩٧/٤ هامش رقم٣و٤و٥)

(٣) النصية الخيار من القوم.

(٤) اليعفور وصلع، قيل اليعفور اسم ماء يجرى بجبل صلع في نواحيهم

وقـد كتـب لهـم رسـول الله ﷺ كتابـاً في حمـى منـاطقهم جـاء منـه : ((بسـم الله الـرحمن الـرحيم هـذا كتـاب مـن رسـول الله محمـد ، لمخـلاف خـارف وأهـل جنـاب الهضـب ، وحقـاف الرمـل مـع وافـدها ذي المشـعار مالـك بـن نمـط ومـن أسـلم مـن قومـه علـى أن لهـم فراعهـا ووهاطهـا ، مـا أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة ، يـأكلون علاقهـا ويرعـون عافيهـا ، لهـم بـذلك عهـد الله وذمـام رسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار))[1].

وفد كنده : -

كنـده قبيلـة يمنيـة مشـهورة ترجـع إلى كهـلان بـن سـبأ.[2] وموطنهـا الأصـلي في الـيمن نـواحي السكاسـك والسـكون ، وتمتـد إلى منـاطق مختلفـة في بـلاد العـرب ، وفيهـا سـلطة وملـوك تصـل إلـي أطـراف الشـام. وقـد وصـل الإسـلام إلـيهم في الـيمن وأسـلموا قبـل وصـولهم إلى

والـنص عـن ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج ٤/٥٩٨؛ وانظـر: هـامش ٧، ٨.

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٨

(٢) انظـر: السـمعاني، الأنسـاب، ج ١٠/ ٤٨٥، ابـن حـزم، جمهـرة انسـاب العرب، ص ٤٢٥.

المدينة، كما يظهر من بعض النصوص، وقد قدم وفدهم فيه ثمانون رجلاً، عليهم الأشعث بن قيس الكندي من كندة اليمن الأصلية، (فدخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وقد رجلوا حممهم وتكحلوا وعليهم جبب الحبرة، وقد كفتوها[1] بالحرير، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقال: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم، قال: فشقوه منها فألقوه).[2]

وقد حصل تردد من الأشعث بن قيس بعد وفاة النبي ﷺ، إلا أنه تاب، ولزم الإسلام، وتزوج أخت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أم فروة، وكان له بلاء حسن في فتوحات الإسلام زمن الصديق وعمر رضي الله عنهما.[3]

وفد الأزد و(جُرش):-

الأزد هم أزد شنوءة، ويعودون إلى كهلان بن

(١) الكفت: هو التكفيف للقماش. انظر: حاشية ابن هشام في السيرة، رقم: ٥، ج٤/٥٨٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥/٥٨٥.

(٣) انظر: ترجمته عند: ابن حجر، الإصابة،ج١/٥١، وابن سعد، الطبقات، ج٦/٢٢والذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج٢/٣٧).

سبأ، [١] ومواطنهم نواحي جُرش من أرض اليمن. [٢]

وقد قدم صرد بن عبد الله الأزديّ في وفد من قومه على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة التاسعة للهجرة، [٣] فأسلم ومن معه وحسن إسلامهم، فأمره الرسول ﷺ ومن أسلم معه بجهاد المشركين في نواحيهم: (فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر الرسول ﷺ، حتى نزل بجُرش وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوها معهم، حيث سمعوا بسير المسلمين إليهم فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلا، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظن أهل جُرش أنه إنما ولى عنهم منهزما، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا.

كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي

(١) السمعاني، الأنساب، ج ١/ ١٩٨.
(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١١.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٧.

بـلاد الله شـكر؟ فقـام إليـه الجُرشـيان فقـالا : يـا رسـول الله ببلادنـا جبـل يقـال لـه كشـر، وكـذلك يسـميه أهـل جُـرش، فقـال إنـه لـيس بكشـر ولكنـه شـكر، قـالا : فمـا شـأنه يـا رسـول الله؟ قـال إن بـدن الله لتنحـر عنـده الآن، قـال : فجلـس الـرجلان إلى أبـي بكـر أو إلى عثمـان فقـال لهمـا : ويحكمـا إن رسـول الله ﷺ لينعـى لكمـا قومكمـا، فقومـا إلى رسـول الله ﷺ فاسـألاه أن يـدعو الله أن يرفـع عـن قومكمـا، فقامـا إليـه فسـألاه ذلـك، فقـال : اللـهم ارفـع عـنهم فخرجـا مـن عنـد رسـول الله ﷺ راجعـين إلى قومهمـا، فوجـدا قومهمـا قـد أصـيبوا يـوم أصـابهم صـرد بـن عبـد الله في اليـوم الـذي قـال فيـه رسـول الله ﷺ مـا قـال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر).(١)

لقـد أثـرت هـذه الحادثـة علـى أهـل جُـرش، فأعـدوا وفـداً خاصـاً قـدم علـى رسـول الله ﷺ في المدينـة وقـابلوه وأعلنـوا إسـلامهم، وكتـب لهـم رسـول الله ﷺ وحمـى لهـم حمـى لقريتهم خاصة يُمنع منه الآخرون.(٢)

---

(١)ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٢/٥٨٨؛ وانظـر: مهـدي رزق الله، السـيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٥.

وافد حضرموت (وائل بن حجر): -

حضرموت مخلاف معروف شرق اليمن شمال عدن وجنوب الأحقاف (الربع الخالي).[١]

وتشتهر بمناطقها الحضرية وقبائلها المختلفة، وإنتاجها الزراعي والحيواني. وكان يحكمها أمراء يعرفون بالأقيال يشبهون الملوك، كانوا موضع احترام العرب، وخصوصاً قبائل اليمن المجاورة لهم.[٢]

وقد وصلت أخبار الإسلام إلى المنطقة بطرق مختلفة، وفي السنة التاسعة للهجرة[٣] وفَد من المنطقة وائل بن حجر أحد أقيالهم، وكان أبوه من ملوكهم، وقد بشر الرسول ﷺ بقدومه قبل أن يصل إلى المدينة فقال: ((يأتيكم بقية أبناء الملوك)).[٤] وحين وصوله أكرمه الرسول ﷺ ورحب به وبسط له رداءه ودعا له ولولده:

---

(١) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ ٢٧١

(٢) انظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٧.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٨.

(٤) انظر: ابن شيبة، تاريخ المدينة، ج٢/٢٧٩.

((اللهم بارك على وائل وولده وولد ولده)).[١]
واستعمله الرسول ﷺ على أقيال حضرموت وذكر عدد من المحدثين أنه أقطعه أرضاً هناك.[٢]

وفد الحارث بن كعب:-

بنو الحارث بن كعب قبائل متعددة تعود في أصلها إلي كهلان بن سبأ.[٣] ومواطنهم نواحي نجران.[٤]

وعرفوا بين العرب بالشدة والقوة، وسيطرتهم على كثير من نواحي نجران وما جاورها. وقد بعث إليهم رسول الله ﷺ في أوائل السنة العاشرة للهجرة خالد بن الوليد في جيش من المسلمين، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام، ويقبل منهم إن أسلموا ولا يقاتلهم، فوصل خالد إلى مناطقهم وبث

---

(١) انظر: تخريجه عند مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٥٨.

(٢)الترمذي، صحيحه، كتاب الطعام، ج ٢/ ٥٢؛ أبو داود، سننه، ج٣/٤٤٣، كتاب الخراج؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٦٢٩.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٦.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٣؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوية والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام.

الركبـان في كـل اتجـاه يـدعون بـني الحـارث إلى الإسـلام مـبلغين إيـاهم: أيهـا النـاس أسـلموا تسـلموا، فأسـلم النـاس،[١] فبقـي فـيهم خالـد ومـن معـه مـن جنـد الصـحابة يعلمهـم الإسـلام، ويقـرئهم كتـاب الله، ويعلمهـم سـنته ودينه.

وفـرح خالـد بـن الوليـد ومـن معـه ﷺ بـذلك،[٢] وكفـى الله المـؤمنين القتـال وكتـب خالـد ﷺ إلى رسـول الله ﷺ وكـان مما جـاء في كتـاب خالـد: (أسـلموا ولم يقـاتلوا وأنـا مقـيم بـين أظهـرهم آمـرهم بمـا أمـرهم الله بـه وأنهـاهم عـن مـا نهـاهم عنـه، وأعلمهـم معـالم الإسـلام وسـنة نبيـه ﷺ حتـى يكتـب إلى رسـول الله ﷺ، والسـلام عليـك يـا رسـول الله ورحمـة الله وبركاتـه). وقـد رد عليـه الرسـول ﷺ وطلـب منـه أن يُقبـل ومعـه وفـد مـنهم،[٣] فأقبـل خالـد إلى المدينـة ومعـه وفـد مـنهم فيـه عـدد مـن زعمـائهم، فلمـا قـدموا علـى رسـول الله ﷺ فـرآهم، قـال: مـن هـؤلاء القـوم الـذين كـأنهم رجـال الهنـد قيـل: يـا رسـول الله: هـؤلاء

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٥.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٣.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٣.

رجال بني الحارث بن كعب، (فلما وقفوا على رسول الله سلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا، فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم، ثم قال: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدا. قال بلى قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم. قال صدقتم، وأمَّر عليهم قيس بن الحصين).(١)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٥؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٦٤.

وبعد أن عاد الوفد إلى مواطنهم بعث إليهم رسول الله ﷺ عمرو بن حزم معلماً ومفقهاً لهم وأميراً على الصدقات فيهم وبعث معه كتاباً وافياً تبشير و نذارة وبيان بأنصبة الزكاة الواجبة.(١)

وفود نصارى العرب: - (٢)

كانت النصرانية تنتشر في عدد من الحواضر والقبائل في بلاد العرب، وكان أهلها أهل كتاب ذوي علم، وقد وصلتهم دعوة النبي ﷺ، فكان لبعضهم وفود وأفراد قابلوا الرسول ﷺ وآمنوا به.(٣) وكانت صلات رسول الله ﷺ تحقيقاً لعالمية رسالته ورحمته الشاملة لكل أهل الأرض، كما أن علمهم بالأنبياء السابقين، وانتظارهم لآخر الأنبياء وخاتمهم كان مما يميزهم عن غيرهم ومن

(١) انظر: نص الكتاب عند ابن هشام، ج٢/١٠١٤ـ ١٠١٥؛ وانظر: تخريجه والحكم عليه عند مهدي زق الله، ص ٦٦؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير، ص ٧٥.

(٢) انظر: د. فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٣) انظر: الفصل الخاص بالوفود عند فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٩٣.

وفودهم.

وفد الداريين:–

ينتسبون إلى الدار بطن من لخم، ومواطنهم نواحي متفرقة من فلسطين والشام بالقرب من بيت لحم والرملة وغيرها.[١]

وهم من نصارى العرب الذين وصلتهم دعوة الإسلام، وقد قدم عشرة منهم إلى النبي ﷺ في المدينة بعد عودته من تبوك، كانوا نصارى فأسلموا وقدموا للقاء النبي ﷺ فيهم تميم الداري وأخوه نعيم، وقد أقطع الرسول ﷺ تميماً أرضا بالشام، وهي لم تفتح بعد. وكان الرسول ﷺ على يقين بفتحها في القريب، وكان تميماً مصدقاً بذلك مؤمناً به ولذلك استقطع النبي ﷺ أرضاً، فلما فتحت الشام في زمن أبي بكر الصديق ﷺ أعطاه تلك الأرض.[٢]

وقد اشتهر حديث تميم الداري عن الدجال، حيث سمعه منه النبي ﷺ، وجمع الناس في مسجده ليسمعوا

(١) انظر: فاروق حمادة، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٤٢.

منه قصته، التي من خلالها يتضح ركوب تميم الداري البحر قبل وصوله إلى المدينة المنورة.(١)

وفد تغلب:-

تغلب إحدى القبائل العربية التي تنتسب إلى تغلب بن وائل من ربيعة بن نزار العدنانية، وهي بطون كثيرة،(٢) وتسكن شمال الجزيرة العربية وتمتد بعض بطونهم إلى الشام والعراق.

وكانت أحد أهم قبائل العرب النصرانية، فيها العلماء والأحبار النصارى ذوي التأثير بين قومهم وغيرهم من القبائل، وذوي الصلة بالروم ونجران، بل وحتى الحبشة.

وفي السنة العاشرة للهجرة قدم وفد منهم فيهم ستة

(١) انظر: الإمام مسلم في صحيحه، الفتن و اشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ص٤٣٢٥؛ سير أعلام النبلاء، ج٦/٣٧٣؛ ولمزيد من المعرفة حول تخريج الرواية راجع فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٤٢، حاشية رقم: ٢.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج ٣ / ٦٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠٣.

عشر رجلاً، [١] بعضهم على النصرانية وبعضهم سبق إسلامهم، وقد أنزلهم رسول ﷺ في دار رملة بنت الحارث[٢]، حيث كان ينزل الضيوف. وقد سمعوا من النبي ﷺ وعقدوا معه صلحاً، وعند فتح العراق عاندوا، ولحق بعضهم بالروم ونقضوا عهدهم، فكانت لهم معاملة مختلفة من عمر نتيجة مخالفتهم للعهد.[٣]

وفود طي:-

طي قبيلة عربية قحطانية تعود إلى كهلان بن سبأ. [٤] ومساكنهم نواحي جبلي أجا وسلمى شمالي نجد وتسمى جبلي طي، [٥] وتمتد إلى العراق والأطراف

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٣٦١.

(٢) رملة بنت الحارث أو الحرث، امرأة من الأنصار، وهي زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري، اشتهرت الدار باسمها، وقد حبس فيها أسرى بني قريظة، ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٥

(٣) يحيى بن آدم، الخراج، ص ٢٠٠؛ القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٦؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، السمعاني، أنساب العرب، ج ٨ / ١٨٧

(٥) الهمذاني، صفة جزيرة العرب ص ٢٦٦؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٢/ ٦٨٨.

الجنوبية لبلاد الشام إضافة إلى شمال الجزيرة العربية.[١]

قدم وفد من طي على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة،[٢] وكان فيه سيدهم زيد الخيل، وهو ابن مهلل بن زيد من الغوث من طي.[٣] وكان زيد شاعراً مشهوراً من فرسان الجاهلية، ذاع صيته بين العرب واشتهر بالكرم، وقد أسلم ومن معه بعد لقائهم رسول الله ﷺ وحُسن أسلامهم.

وأورد ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال عنه: ((ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وأقطع له فيداً[٤] وأرضين معه وكتب له بذلك))،[٥] وعند عودته إلى نجد توفي بسبب الحمى،[٦] وقيل إنه عاش إلى زمن عمر بن

(١) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٩، ٤٠٠.
(٢) ابن حجر، الإصابة ج ١ / ٥٧٢
(٣)ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٠٤.
(٤) مكان معروف شرقي حائل حالياً.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٣٢١.
(٦) ابن هشام السيرة النبوية ج٤/ ٥٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج١/٣٥٥.

الخطـاب ﷺ، [١] وقـد عـرف ابنـه عـروة بفتوحـه في بـلاد الديلم. [٢]

وفد فروة بن عمرو الجذامي: - [٣]

جـذام قبيلـة عربيـة مـن كهـلان مـن القحطـانيين، ومـواطنهم ممـا يلـي الـروم مـن نـواحي الأردن في معـان ومـا جاورهـا إلى الغـرب نـواحي مـدين غـرب تبـوك، وتمتـد إلى فلسـطين. [٤] وكـان فـروة بـن عمـرو عـاملاً للـروم علـى عـرب معـان، وكـان علـى النصـرانية فبلغتـه دعـوة رسـول الله ﷺ، فأسـلم وبعـث وفـداً إلى رسـول الله ﷺ في المدينـة ومعـه هديـة لرسـول الله ﷺ، فلمـا علـم الـروم بإسـلامه حبسـوه ثـم قتلـوه، وذكـر أنـه لما قـدم ليقتـل بعـث سـلامه في أبيات لرسول الله ﷺ وللمسلمين منها قوله:

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٥٧٢/١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤.

(٣) وضع ابن هشام في السيرة النبوية عنوانا" إسلام فروة بن عمرو الجذامي، ص٥٩١.

(٤) فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٢٧.

بلغ سراة المسلمين بأنني

سلم لربي أعظمي ومقامي[١]

وفد غسان:-

غسان قبيلة عربية مشهورة تعود في أصلها إلى الأزد.[٢] وقد كان لهم حكم دمشق وما جاورها وما بينها وبين حمص، تابعين في ذلك للروم وعرف ملوكهم بملوك الغساسنة، وكانوا على النصرانية، ومع الروم في مواجهة الإسلام وقد قدم ثلاثة نفر منهم على النبي ﷺ في رمضان من السنة العاشرة للهجرة،[٣] فأسلموا وعادوا إلى بلادهم ولم يظهروا إسلامهم خشية من الروم، وتوفي اثنان منهم قبل فتح الشام، وقدم الثالث على أبي عبيدة قبيل اليرموك فأكرمه.[٤]

---

(١) انظر: تفاصيل الوفد عند ابن هشام السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٩٢ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٦٤٦.

(٢) انظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٥٥.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/٣٣٨؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٦٩.

(٤) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج٣ /٦٦٩؛ وابن سيد الناس، السيرة

وفادة عدي بن حاتم: - [١]

هو ابن لحاتم طي أشهر العرب الجاهليين بالكرم، أحد زعماء طي المشهورين، كان من زعماء النصرانية بين العرب [٢] على الركوسية [٣] وهي فرقة معروفة من النصارى في زمن النبي ﷺ، [٤] تربطه علاقات خاصة بنصارى عرب الشام، وخصوصاً الغساسنة ونصارى عرب العراق من المناذرة وغيرهم، إضافة إلى علاقته بقبيلته طي، حيث كان زعيماً من زعمائهم.

النبوية، ج٢/٢٥٦.

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب قصة وقد طي وحديث عدي بن حاتم.

(٢) عرف نصارى العرب باتباعهم للمذهب اليعقوبي في الشام والنسطوري في العراق، عبدالعزيز الثعالبي، محاضرات في تاريخ الأديان، ص ١٤٨؛ الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ص ٦٨.

(٣) الركوسية: فرقة لها دين ومذهب بين النصارى والصابئين عرفت زمن النبي ﷺ بين العرب المعجم الوسيط، ص ٣٦٩.

(٤) وقد أخطأ جواد علي في التشكيك في الرواية وفي وجود المذهب الركوسي بسبب زعمه أن القول لحاتم طي، وأنه مات قبل الرسول ﷺ، ولا يقبل هذا من علم مثل جواد علي، مع وجود ما يزيد على أربعين حديثاً بعضها في البخاري تثبت أن المقابلة كانت لعدي بن حاتم وليست لأبيه (راجع : المفصل، ج ٦/٦٣٤).

وقد وصلته أخبار الإسلام مبكرة وتردد في الاتصال برسول الله ﷺ والسماع منه، رغم أن خبر رسول الله ﷺ ذاع بين العرب والعجم، ولعل وصول زيد الخير ((زيد الخيل)) إلى النبي ﷺ مع بعض زعماء طي وإسلامهم قد أثر في عدي سلباً، حيث يقول: بُعث النبي ﷺ (فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط، فانطلقت حتى أنزل أقصى العرب مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الأول).[1]

لم يقدم على لقاء الرسول ﷺ إلا بعد أن أسرت أخته، وأحسن الرسول ﷺ معاملتها وأسمعها ما توصله إلى عدي بن حاتم.

ذلك أن إحدى سرايا الرسول الله ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أغارت على بعض نواحي طي، في ربيع الآخر سنة تسع للهجرة، وكانت تهدف لهدم صنمهم (الغُلس)، وتمكنت من أسر بعض الطائيين وفيهم سفانة بنت حاتم طي أخت عدي،[2] ((فجعلت بنت حاتم في

---

(١) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٢.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية (من الطبقات)، ج ٢ / ١٦٤.

حظيرة[1] بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منَّ الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت: له مثل ذلك وقال: لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منَّ الله عليك، فقال ﷺ: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقيل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قدم

(١) هي السياج الخاص يوضع للأسرى،انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٩(حاشية رقم ٣)

رهـط مـن قـومي، لـي فـيهم ثقـة وبـلاغ . قالـت: فكسـاني رسـول الله ﷺ وحملـني، وأعطـاني نفقـة فخرجـت معهـم حتى قدمت الشام)).[١]

كـان عـدي بـن حـاتم محتـاراً بعـد سـبي أختـه وفـراره إلى الشام.

وبعـد إكـرام أختـه ومغادرتهـا إلـي الشـام يصـف عـدي حـال وصـولها فيقـول: (فـوالله إنـي لقاعـد في أهلـي، إذ نظـرت إلى ظعينـة تصـوب إلـي تؤمنـا، قـال فقلـت: ابنـة حـاتم؟ قـال: فـإذا هـي هـي، فلمـا وقفـت علـي انسـحلت[٢] تقـول: القـاطع الظـالم احتملـت بأهلـك وولـدك، وتركـت بقيـة والـدك عورتـك، قـال قلـت: أي أخيـة لا تقـولي إلا خـيراً، فـوالله مـا لـي مـن عـذر لقـد صـنعت مـا ذكـرت. قـال: ثـم نزلَـت فأقامـت عنـدي، فقلـت لهـا: وكانـت امـرأة حازمـة مـاذا تـرين في أمـر هـذا الرجـل؟ قالـت: أرى والله أن تلحـق بـه سـريعا، فـإن يكـن الرجـل نبيـا فللسـابق إليـه فضـله، وإن يكـن ملكـا فلـن تـذل

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٩

(٢) رفعت صوتها باللوم والعتاب.

في عــز الــيمن، وأنــت أنــت. قــال قلــت: والله إن هــذا الرأي).[١]

وقــد توجــه عــدي بــن حــاتم بعــد ذلــك مــن الشــام إلى المدينــة المنــورة لمقابلــة رســول ﷺ، وذلــك في أواســط الســنة التاسعة للهجرة.[٢]

وحــين وصــل المدينــة استشــرفه النــاس، ويظهــر أنــه وصــل بشــكل ملفــت للنظــر ســواء في لباســه أم موكبــه، وربمــا مــن يرافقــه، بحيــث لفــت أنظــار أهــل المدينــة إليــه، ثــم دخــل المســجد علــى رســول الله ﷺ فســلم عليــه فقــال: مــن الرجــل؟ فقلــت: عــدي بــن حــاتم (فقــام رســول الله ﷺ فــانطلق بــي إلى بيتــه، فــوالله إنــه لعامــد بــي إليــه إذ لقيتــه امــرأة ضــعيفة كــبيرة فاســتوقفته، فوقــف لهــا طــويلا تكلمــه في حاجتهــا، قــال قلــت في نفســي: والله مــا هــذا بملــك، قــال: ثــم مضــى بــي رســول الله ﷺ حتــى إذا دخــل بــي بيتــه تنــاول وســادة مــن أدم محشــوة ليفــا، فقــذفها إلــيّ فقــال اجلــس علــى هــذه قــال: قلــت: بــل أنــت فــاجلس عليهــا،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٠

(٢) من رواية بن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٢.

فقال بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسيا؟ قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال قلت: أجل والله .قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت، وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله

لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه).(١)

وقد انتهت مقابلة عدي بإسلامه على يد رسول الله ﷺ عن قناعة تامة اتضحت من خلال حديثه عن لقائه مع رسول الله ﷺ، ومن خلال ما رأى من تواضعه وكرمه وحسن خلقه ومعرفته بالنصرانية وأصلها وما أصابها من انحراف. وما كان يقوم به عدي من أخذ المرباع من النصارى وهو محرم عليه.

وهذا الحوار كان طويلاً، ولعله حاور الرسول ﷺ في أكثر من موقف وأكثر من يوم أثناء وجوده في المدينة، ومن ذلك أنه (دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة]، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى. إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله ﷺ : يا عدي، ما تقول؟ أيفرّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً اكبر

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٥٠، وانظر: رواية البخاري في صحيحه؛وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٨١.

من الله ؟ ما يفرك؟ أيفرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله غير الله ؟ ثم دعاه للإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق).[١]

وكان إسلام عدي بن حاتم دافعاً له للتعلم من الرسول ﷺ وسؤاله عن ما أشكل عليه. ومن ذلك ما ثبت في الصحيح (عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة فيمسكن عليّ، وأذكر اسم الله عليه، فقال: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل، قلت: وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك سميت على كلبك ولم تسم على غيره، قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب فقال: إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصابه بعرضه فإنه وقيذ[٢] فلا تأكله،

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٧٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه،كتاب الذبائح والصيد، باب صيد المعراض، ج٦/٢١٨.

(والوقيذ :هو ما مات من الضرب ولم يجرح ويخرج منه دم وهي الواردة في قوله تعال:
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ

وفي لفظ لهما إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته وفي رواية لهما فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه).[(١)] كما أنه ناقش في الصيام وطلوع الفجر.[(٢)]

ولقد أحب عدي بن حاتم الدين وشعائره، حتى ورد عنه أنه ﷺ قال: ما دخل وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها.[(٣)]

وقد ثبت أن عدي بن حاتم كان ثابتاً على الإسلام متعاوناً مع أبي بكر الصديق في خلافته زمن الردة، حيث ساهم في جمع صدقات قومه والدفاع عن المسلمين ضد المرتدين. فقد أورد البخاري في صحيحه باباً سماه (قصة وفد طيء) وحديث عدي بن حاتم أورد فيه حديثاً عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر بن

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ المائدة.

(١) ابن كثير، تفسير، ج ١ / ٥٨٢، في تفسير سورة المائدة، وقد خرج الحديث .

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٢ / ٤٦٨.

(٣) المصدر السابق.

الخطـاب وفـداً فجعـل يـدعو رجـلاً رجـلاً ويسـميهم، فقلـت: أمـا تعـرفني يـا أمـير المـؤمنين؟ قـال بلـى، أسـلمت إذ كفـروا، وأقبلـت إذ أدبـروا، ووفيـت إذ غـدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذاً.(١)

وقـد كـان مـن أول مـن قـدم بالصـدقة علـى أبـي بكـر الصـديق في المدينـة بعـد وفـاة الرسـول ﷺ، وكـان لـه دور في قمع أناس من قومه ومنعهم من الردة.(٢)

كمـا شـارك رضي الله عنه في الفتـوح زمـن أبـي بكـر الصـديق وعمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه، وشـهد فـتح العـراق وفـارس ومنهـا المـدائن عاصـمة الفـرس، ورأى بنفسـه كنـوز كسـرى بيـد المسـلمين، كمـا وعـد الرسـول ﷺ بـذلك، وقـد أقـام في الكوفة وكان مع علي رضي الله عنه.(٣)

وفد نصارى نجران:- (٤)

نجـران منطقـة واسـعة في جنـوب الجزيـرة العربيـة،(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج٥/١٢٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ج ٢/ ٣٢٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ج٢/٣٢٩.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج٥/١٢٠.

تقطنها قبائل متعددة وبها حواضر مختلفة، وقد انتشرت فيها النصرانية وقويت قبل الإسلام.

كانت ترتبط بعلاقات قوية مع نصارى العرب في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وكذلك الحبشة،[٢] ويقع بينهم تبادل ثقافي ديني، حيث ينتقل علماء النصرانية العرب، منها وإليها، ولذلك عُدت معقلاً قوياً للنصارى في عهد النبي ﷺ.[٣] وقد عرفوا دعوة الرسول ﷺ قبل هجرته إلى مكة،[٤] كما ثبت بطرق مختلفة سماع الرسول ﷺ لقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران في زمانه وهو يخطب في سوق عكاظ.[٥]

وقد عُدت نجران المركز الرئيسي للنصرانية جنوب بلاد العرب، ولها تنظيمها وإدارتها ومناصبها وعليها (العاقب)، وهو كما يقول أهل السير: أمير القوم وذو

(١) الحموي، معجم البلدان ج ٥ / ٢٦٦.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٤.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

(٤) انظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوية والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، ص ١٩.

(٥) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه و(السيد)، وهو ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم"مسئول مالي واجتماعي" و(الأسقف)، وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم والسيد وإليهما إدارة الجماعة، والإشراف على شئونهم السياسية والمالية، ويدير ما يحتاج المجامع إليه من بقية الشؤون .[١]

ولم تكن الرئاسة في نصارى نجران منصباً قبلياً، بل تتبع مراجع دينية بعيداً عن العصبية القبلية، حيث شارك فيها أقوام من قبائل شتى.[٢]

كتب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران كتاباً جاء فيه (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران سلم أنتم، فإنِّي أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد، فإنِّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام".

---

(١)منقولاً عن: جواد علي، المفصل، ج٦/٦١٧.

(٢) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦ /٦١٨.

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فظع به، وذعره ذعرا شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة ــ وكان من همدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نزلت معضلة قبله، لا الأيهم ولا السِّيد ولا العاقب ــ فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل، فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي، وجهدتُ لك، فقال له الأسقف: تنحَّ فاجلس. فتنحَّى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمْير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: فاجلس، فتنحى فجلس ناحية. وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: جبار بن فيض، من بني الحارث بن كعب، أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره

الأسقف فتنحى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعًا، أمر الأسقف بالناقوس فضُرب به، ورُفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ــ وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأيُ أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني).[١]

ونتيجة تباحث علمائهم وتبادل الرأي قدم منهم (ستون راكباً: منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم (العاقب) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره،

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ٣٧٠/١، ٣٧١.

واسمه عبد المسيح (والسيد) ثِمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل (أسقفهم) وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه، من علمه واجتهاده في دينهم.

وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها، من الحِبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد علينا سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن

يكلمنـا ، فمـا الـرأي منكمـا أنعـود؟ فقـالا لعلـي بـن أبـي طالـب وهـو في القـوم: مـا تـرى يـا أبـا الحسـن في هـؤلاء القـوم؟ فقـال علـي لعثمـان وعبـد الـرحمن (رضـي الله عنهمـا): أرى أن يضـعوا حللـهم هـذه وخـواتيمهم ويلبسـوا ثيـاب سـفرهم ثـم يـأتوا إليـه، ففعـل الوفـد ذلـك فوضـعوا حللـهم وخـواتيمهم ثـم عـادوا إلى رسـول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد سلامهم.[1]

وحينمـا قـابلوا الرسـول ﷺ قـال: رسـول الله ﷺ لأسـقف نجـران: ((يـا أبـا الحـارث أسـلم، فقـال: إنـي مسـلم، قـال: يـا أبـا الحـارث أسـلم، قـال: قـد أسـلمت قبلـك، قـال نـبي الله: كـذبت، منعـك مـن الإسـلام ثلاثـة: دعـاؤك لله ولـداً، وأكلـك لحـم الخنزيـر، وشـربك الخمر)).[2]

وقد دارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مناقشات طويلة، حيث قال رئيسهم لرسول الله ﷺ تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، ثم قال أحدهم من أبو عيسى؟ من أبو عيسى؟ فسكت النبي

---

(١)ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٢٩ - ٦٣٣.

(٢) ابـن أبي شـيبة، المغـازي، ص ٤٠٩؛ وانظـر: ابـن حجـر، فـتح البـاري، ج١٦/٢٥٩؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٥٨٣.

وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران].

وحينما نزلت آيات الملاعنة على رسول الله ﷺ دعاهم إلى الملاعنة، وواعدهم من الغد، فتشاوروا فيما بينهم وكانوا من علماء النصارى فقال بعضهم فوالله إن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا،[1] وقال: (لأن كان الرجل نبياً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منّا شعر ولا ظفر إلا هلك).[2]

ثم إن بعضهم عندما رأوا إنصاف رسول الله ﷺ وحسن حديثه وصدقه أجمعوا على أن ينزلوا تحت حكمه وبما يأمر ولا يلاعنوه، حيث قال زعيمهم

---

(١) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٢/٥٨٤.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٧١.

شرحبيل: (إني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً).(١)

فلما أقبل رسول الله ﷺ من الغد كان معه فاطمة والحسن والحسين وعلي رضي الله عنهم أجمعين، فدعاهم النبي ﷺ فخافوا ولجأ بعضهم في نواحي المسجد لما يعلمون من إجابة دعوته خوفاً أن يدعو عليهم، ثم أقبل زعيمهم شرحبيل على رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك، قال ﷺ: وما هو؟ فقال: حكمك إلى الليل وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا فهو جائز، فقال ﷺ لعل وراءك أحد يثرب عليك، فقال: سل صاحبي، فسأله ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل، فرجع ﷺ ولم يلاعنهم، فأتوه في الغد وصالحهم وكتب لهم كتاباً جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران، إذ كان حكمه عليهم، أن في كل بيضاء وسوداء وصفراء وثمرة ورقيق، وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، على ألفي حلة في كل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة مع كل حلة أوقية، ما زادت على

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٤٣.

الخـراج أو نقصـت علـى الأواقـي فبحسـاب، ومـا قضـوا مـن دروع أو خيـل أو ركـاب أو عـرض أخـذ مـنهم بحسـاب، وعلـى نجـران مثـواة رسـلي ومتعـتهم بهـا عشـرين فدونـه، ولا يحـبس رسـول فـوق شـهر، وعلـيهم عاريـة ثلاثـين درعـا، وثلاثـين فرسـا، وثلاثـين بعـيرا، إذا كـان كيـد بـاليمن ومعـذرة، ومـا هلـك ممـا أعـاروا رسـولي مـن دروع أو خيـل أو ركـاب فهـو ضـمان علـى رسـولي حتـى يؤديـه إلـيهم، ولنجـران وحسـبها جـوار الله وذمـة محمـد الـنبي علـى أنفسـهم وملـتهم وأرضـهم وأمـوالهم وغـائبهم وشـاهدهم وعشـيرتهم وتـبعهم، وأن لا يغـيروا ممـا كـانوا عليـه، ولا يُغـير حـق مـن حقـوقهم، ولا ملـتهم ولا يُغـير أسـقف مـن أسـقفيته، ولا راهـب مـن رهبانيتـه، ولا وافـه عـن وفهيتـه،[(١)] وكـل مـا تحـت أيـديهم مـن قليـل أو كـثير ولـيس علـيهم ريبـة ولا دم جاهليـة ولا يحشـرون ولا يعشـرون، ولا يطـأ أرضـهم جـيش، ومـن سـأل مـنهم حقـاً فبيـنهم النصـف غـير ظـالمين ولا مظلـومين، ومـن أكـل ربـا مـن ذي قبـل فـذمتي منـه بريئـة، ولا يؤخـذ رجـل مـنهم

---

(١) الوفهيـة: هـي البيعـة، والوافـه: هـو القـيم علـى البيعـة، انظـر: هـامش (٢) عند عمر بن شبه في تاريخ المدينة، ج٢/٥٨٥.

بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم).[١]

وفي هذه الحادثة نزلت الآيات من سورة آل عمران ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]. وفي أول الآيات وآخرها مناقشة عامة النصارى في كل زمان ومكان ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [آل عمران]، وكثير من النصارى في هذا الزمان يعلمون حقيقة رسالة محمد

---

(١) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ٢/ ٥٨٤ ــ ٥٨٦؛ وانظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٧٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج١/ ٣٥٨.

ونبوءته كما علمها نصارى نجران في حينه، لكنه عصيان لله ولمن أرسله الله.

وحين اتفق الرسول ﷺ مع نصارى نجران طلبوا منه أنْ: (ابعث معنا رجلاً أميناً؟ فقال ﷺ لأبعثن معكم رجلاً حق أمين، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم).(١)

وحينما عاد الوفد إلى نجران دافعوا عن أنفسهم أمام قومهم وأنهم كتبوا العهد ودفعوا الجزية خشية دعائه عليهم، واظهروا معرفتهم بنبوته. ومع ذلك لم يسلموا، فبادر اثنان منهم إلى اللحاق فوراً برسول الله ﷺ في المدينة، وقد أسلم أحدهما ويسمى بشر، ولحق برسول الله ﷺ حتى استشهد بعد ذلك.(٢)

وقد بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة إلى نجران، فكان قدوة حسنة داعية مباركاً، وعاملاً إدارياً مالياً قام بمهمته

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٨؛ وانظر صحيح البخاري، باب قصة أهل نجران، ج٥/١٢١.

(٢)ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/٥٥.

خير قيام.[١] وقد كانت تجري بينه وبين علماء النصارى في نجران مناقشات علمية حول ما نزل في القرآن، وكذلك بينهم وبين بقية الصحابة الآخرين الذين كان يبعثهم رسول الله ﷺ إلى نجران، ومن ذلك ما رواه المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا لي: إنكم تقرؤون ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم]. وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم أدر ما أجيبهم به، حتى رجعت إلى النبي ﷺ فسألته فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم)).[٢]

وقد بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إليهم في السنة العاشرة للهجرة بقبض جزيتهم وصدقات مسلمي نجران، فقدم على النبي ﷺ في الحج (حجة الوداع).[٣]

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي،ص ٤٠٩.

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي ص ٤٠٩؛ والحديث أخرجه مسلم من طريق ابن أبي شيبة؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٨٥.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٦٣٧؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠؛ وانظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

وقد مرت بقية حياة النبي ﷺ مع نصارى نجران بسلام، وكان العهد قائماً بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وبعد وفاته ﷺ ظهرت الردة في نواحٍ كثيرة، ومنها منطقة نجران في بعض من أسلم منهم، ولا يستبعد أن هناك من شارك حركة الردة في العصيان العسكري من غير المسلمين من أهل المنطقة، سواء من النصارى أم غيرهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

لكن خلافة أبي بكر الصديق مضت ولم يحدث بين نصارى نجران وبين المسلمين خلاف يذكر.

وحينما جاء عهد عمر ﷺ وفتحت الأمصار انتقلت كثير من القبائل من بلاد العرب إلى البلاد المفتوحة، وخصوصاً المشاركة في الفتوح. وكان نصارى نجران مستقلين عن الدولة الإسلامية، لا مشاركة لهم في الفتوح بحكم بقائهم على دينهم، فتاقت أنفسهم لأخذ أراضٍ جديدة، وما كان يحق لهم ذلك لعدم إسلامهم ومشاركتهم. وفي الوقت نفسه كانت أعدادهم في نجران تزيد وخطورتهم على المسلمين محتملة.

وأورد بن أبي شيبة بسنده قال: (كان أهل نجران قد

بلغوا أربعين ألفا، قال: وكان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين فتحاسدوا بينهم، قال: فأتوا عمر، فقالوا: إنا قد تحاسدنا بيننا فأجْلِنا، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كتب لهم كتاباً أن لا يُجلوا، قال: فاغتنمها عمر فأجلاهم، فندموا، فأتوه فقالوا أقلنا، فأبى أن يقيلهم، فلما قدم علي أتوه فقالوا: إنا نسألك بخط يمينك وشفاعتك عند نبيك ألا أقلتنا، فأبى وقال: ويحكم، إن عمر كان رشيد الأمر، قال سالم: فكانوا يرون أن علياً لو كان طاعنا على عمر في شيء من أمره طاعنا عليه في أهل نجران)،[1] كما يتضح من النصوص أن عمر اشترى بياض أرضهم وكرومهم.[2]

وقيل إن سبب قدومهم على عمر رضي الله عنه أنهم أكلوا الربا، وقد شُرط عليهم عدم التعامل به في عهدهم مع الرسول ﷺ فخشوا من انتقام عمر وبادروا بطلب الرحيل إلى العراق والشام. ومن الواضح من الروايات المختلفة أنهم هم الذين استبدلوا عهدهم من النبي ﷺ في نجران بمناطق جديدة من الفتوح عوضوا بها عن

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي ص ٤٠٨.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٧.

مناطقهم في نجران بناءاً على طلبهم، كما دُفع إليهم أموالاً مقابل مزارعهم وكرومهم، ولكنهم ندموا على ذلك وحاولوا الاستعفاء من الأمر فرفض عمر بن الخطاب ﵁، بعد أن مضى الاتفاق معهم على ذلك، وبالتالي رحلوا إلى العراق مع كتاب من عمر إلى الأمراء لتسهيل أمورهم وإعطائهم من الأرض، جاء فيه (هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران من سار منهم أنه آمن بأمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين، وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وأبو بكر، أما بعد: فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم بمكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم، أما بعد: فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن تقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم، شهد عثمان بن عفان ومعيقب بن أبي فاطمة، فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية

الكوفة).[١]

هدم الأصنام:-

كانت الأصنام تنتشر في بلاد العرب في كل مكان، وفي مكة وضعت داخل المسجد بجوار الكعبة، وقد ورد ذكر لبعضها بأسمائها في القرآن الكريم،كاللات والعزى ومناة. وكانت قبائل العرب تفتخر بها وتعبدها من دون الله تعالى. وقد وردت العديد من الآيات القرآنية في التحذير منها وبيان حرب الأنبياء لها عبر العصور: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم]. وكان هم رسول الله ﷺ انتزاع ما في قلوب الناس من اعتقاد وشرك، وتحطيم تلك الأصنام وتدميرها تماماً ومحوها مادياً من الوجود، كلما استطاع إلى ذلك سبيل، ولذلك بادر ﷺ بنفسه بتحطيم الأصنام المحيطة بالكعبة وفي الحرم على مرأى ومسمع من الناس يوم الفتح من ساعته، وكان ﷺ يردد: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء].[٢] واستهدف ﷺ تحطيم الأصنام في أي مكان تصل

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١/ ٣٥٨ ؛

(٢) انظر : فتح مكة، من هذا الكتاب .

إليه يده ﷺ، فبعث السرايا من عنده في كل اتجاه للقيام بهذه المهمة منذ فتح، مكة وهابته العرب وسيطر على مناطقها، حيث حرص على إزالة الأصنام وتحطيمها في الواقع وفي نفوس أصحابها عُبَّاد الأوثان، ومن تلك السرايا المتخصصة بتحطيم الأصنام.

سرية خالد بن الوليد لهدم العُزى:- (١)

كانت العزى صنماً في نخلة شرق مكة بينها وبين الطائف في منطقة هذيل.(٢) وكانت تعبد من دون الله وهي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم]. وكان العرب يدعونها ويرفعون ذكرها من دون الله،(٣) ولذلك نجد أبا سفيان يرفعها شعاراً في أُحُد حينما قال: (لنا العزى ولا عزى لكم)، فأمر الرسول ﷺ بالرد عليه **(الله مولانا ولا مولى لكم).**(٤) وقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٣٦؛ عنوان مسيرة خالد بن الوليد لهدم العزى.

(٢) انظر: ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٦؛ وجواد علي، المفصل، ج٧٧/٢٣٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب أفرأيتم اللات والعزى، ج٦/٥١؛ ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٨٠.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٨؛ وانظر: غزوة أحد من هذا

الوليد في سريه لهدم العزى بعد فتح مكة فذهب إليها فهدمها في قصة طويلة.[(١)]

سريه عمرو بن العاص لهدم سواع:- [(٢)]

سواع صنم عند هذيل شرقي مكة، وقد ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالي: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح]. وقد بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بعد فتح مكة في سريه خاصة ليهدمه، وقد زعم سادنه أنه يدافع عن نفسه، وأن عمراً لا يستطيع هدمه، لكنه حينما رأى السادن أنه يهدم حجراً حجراً ولا ينفع نفسه ولا يضر غيره، أسلم بعد ذلك وهُدم هذا الصنم إلى الأبد.[(٣)]

سريه سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة:-

كانت مناة صنماً في نواحي[(٤)] المشلل عند قديد[(١)] بين مكة

الكتاب .

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/١٤٥.

(٢) هو : صنم قديم ببطن نخلة شرقي مكة . جواد علي، المفصل، ج٦/٢٥٧.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج١/١٩٢٣.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج٢/١٧٨١.

والمدينة، وتعبده العرب عموماً ومشركوا الأوس والخزرج خصوصاً، وتتقرب إليه وهو الوارد في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم].

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري في جيش من المسلمين لهدمها بعد فتح مكة، فتمكن من تحطيم الصنم والقضاء عليه دون مقاومة من سدنته الذين يزعمون أنها تدافع عن نفسها. وهكذا حُطم الصنم في الواقع وفي النفوس.(٢)

سرية علي بن أبي طالب لهدم االفُلس في طيء:-(٣)

كانت سريه علي في السنة التاسعة للهجرة في ربيع الآخر، فأغار على طيء وحطم صنمهم وغنم خزينته، وأسر بعض القوم وكان في الأسرى سفانة بنت حاتم طيء وكانت سبباً في قدوم أخيها عدي وإسلامه.(٤) كما

(١) جواد علي، المفصل، ج٦/٢٤٦؛ وانظر: الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام من هذا الكتاب .

(٢) انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/١٤٦ ؛ والهيثمي، شرح المواهب اللدانية، ج٢/٣٤٨.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٥١٧

(٤) الطبري، تاريخه، ج ٣ / ١٤٨؛ البخاري، صحيحه، كتاب المغازي،

مرَّ ذكره والتفصيل فيه [(١)].

سرية الطفيل بن عمرو لهدم صنم ذو الكفين في دوس:-

بعد غزوة حنين مباشرة، وجه الرسول ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي لهدم صنم يسمى ذا الكفين في قبائل عمرو بن حممة، فتوجه إليه وهدمه وحرقه، ثم عاد وقابل الرسول ﷺ أثناء حصار الطائف.[(٢)]

سريه جرير بن عبد الله البَجَلي إلى ذي الخلصة:- [(٣)]

كان في نواحي بجيلة في اليمن في قبيلة خثعم يقال له ذي الخلصة،[(٤)] وكان مقصداً للقبائل في تلك الناحية حتى أن بعضهم سمى نصباً له بالكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله: ((ألا تريحني

حديث رقم: ٤٣٤٠ ؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج٢/١٦٤.

(١) انظر: وفود نصارى العرب من هذا الكتاب (وفادة عدي بن حاتم).

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/١٥٧؛ والواقدي، المغازي، ج٣/٩٢٢؛ محمد الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/٦٦٦.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باباً سماه، باب غزوة ذي الخلصة، ج٥/١١١ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/١٩٠.

مـن ذي الخلصـة))، فقـال جريـر: بلـى يـا رسـول الله، وكـان ﷺ لا يثبـت علـى الخيـل، فـذكر ذلـك لرسـول الله ﷺ فـدعا لـه وضـرب علـى صـدره قـائلاً: ((اللـهم ثبتـه واجعلـه هاديـاً مهـدياً، فمـا وقـع عـن فرسـه بعـد ذلـك)). وقـد توجـه جريـر ومعـه خمسـون فارسـاً مـن أحمـس إلى ذي الخلصـة فهدمـه، وأرسـل بشـارة ذلـك لرسـول الله ﷺ. وقـد روى البخـاري في صـحيحه عـن جريـر بـن عبـد الله قـال: (قـال لـي رسـول الله ﷺ: ألا تـريحني مـن ذي الخلصـة. فقلـت: بلـى فانطلقـت في خمسـين ومائـة فـارس مـن أحمـس، وكـانوا أصـحاب خيـل، وكنـت لا أثبـت علـى الخيـل فـذكرت ذلـك للـنبي ﷺ فضـرب يـده علـى صـدري حتـى رأيـت أثـر يـده في صـدري، وقـال: اللـهم ثبتـه واجعلـه هاديـا مهـديا. قـال: فمـا وقعـت عـن فـرس بعـد. قـال: وكـان ذو الخلصـة بيتـا بـاليمن لخـثعم وبجيلـة، فيـه نصـب تعبـد يقـال لـه "الكعبـة"، قـال: فأتاهـا فحرقهـا بالنـار وكسـرها، قـال: ولمـا قـدم جريـر الـيمن كـان بهـا رجـل يستقسـم بـالأزلام، فقيـل لـه: إن رسـول رسـول الله ﷺ هـا هنـا فـإن قـدر عليـك ضـرب عنقـك، قـال: فبينمـا هـو يضـرب بهـا إذ وقـف عليـه جريـر، فقـال:

لتكســرنها ولتشــهدن أن لا إلــه إلا الله أو لأضــربن عنقــك قــال فكســرها، وشــهد، ثــم بعــث جريــر رجــلا مــن أحمــس يكنــى أبــا أرطــأة إلى الــنبي ﷺ يبشــره بــذلك، فلمـا أتـى الـنبي ﷺ قـال: يـا رسـول الله والـذي بعثـك بـالحق مـا جئـت حتـى تركتهـا كأنهـا جمـل أجـرب، قـال: "فـبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات".[1]

(١) البخاري، صحيحه حديث رقم: ٤٣٥٧.

حجة الوداع: -(١)

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. وقد سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم، وتحدثت عنه وعن شعائره العديد من الآيات القرآنية التي وصل عددها إلى اثنتي عشرة آية.

ومن المؤكد أن الرسول ﷺ كان يحج قبل هجرته موحداً على نُسك إبراهيم عليه السلام، وأنه كان ينزل مخالفاً لقريش موافقاً لسنة إبراهيم، مع أن الحج لم يفرض إلا بعد نزول قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧.(٢)

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة لم يثبت أنه حج غير حجة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، باب حجة الوداع.

أُلفت العديد من الكتب حول حجة الوداع منها: حجة الوداع دارسة جامعة للأحاديث والآثار دراسة لابن كثير حققها خالد أبو صالح.

ومن أكثر الأحاديث تفصيلاً عن حجة رسول الله ﷺ رواية جابر بن عبدالله عند مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٤/٣٨

(٢) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج٣/٥٩٥ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع ج٥/١٢٦، ابن كثير، السيرة النبوية ج ٤/٢٦٣

الـوداع الـتي كانـت في السـنة العاشـرة،[١] مـع أن الصـديق ﷺ حج بالناس في السنة التاسعة للهجرة.[٢]

وكان الرسول ﷺ حريصاً على أن لا يَرى أي مظهر للشرك في مكة،وهذا هو الدافع لتأجيل حجه إلى السنة العاشرة، وتبليغ الناس أنه ليس للمشركين أن يقربوا المسجد الحرام: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة] .

وحجـة الـوداع هـي التطبيـق العملـي للحـج ومناسـكه مـن قبـل الـنبي ﷺ وبـأمره، حيـث قـال: ((ويقـول " لتأخـذوا عـني مناسـككم فـإني لا أدري لعلـي لا أحـج بعـد حجتي هذه)).[٣]

---

(١) كمـا وضـعت فصـول خاصـة عنـد المحـدثين فيهـا، ابـن حجـر، فـتح البـاري، ٢٩٩/١٦، من رواية البخاري ج٥ /١٢٣.

(٢) انظر حج أبي بكر بالناس، من هذا الكتاب .

(٣) رواه مسـلم في صـحيحه، بـاب استحباب رمـي جمرة العقبـة يـوم النحـر راكبـا. وبيــان قولــه صــلى الله تعــالى عليــه وســلم "لتأخــذوا عــني مناســككم، ج ٧٩/٤ .

ولأهميـة الأمـر وضـع البخـاري في صـحيحه بابـاً سمـاه (باب حجة الوداع) .[(١)]

فقبـل شـهر ذي الحجـة مـن السـنة العاشـرة للـهجرة أعلـن الرسـول ﷺ أنـه سـيحج ، (فقـدم المدينـة بشـر كـثير كـل مـنهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ).[(٢)]

كـان خـروج الرسـول ﷺ للحـج مـن المدينـة المنـورة في الخـامس والعشـرين مـن شـهر ذي القعـدة ، وقـد بقـي في الطريـق ثمانيـة أيـام ، كـان النـاس يتعلمـون خلالهـا مـن رسـول الله ﷺ تزيـد أعـدادهم تـدريجياً ، حيـث وافـاه خلـق كـثير وقبائـل شـتى مـن كافـة أنحـاء العـرب ،[(٣)] بالإضـافة لمـن كان معه من أهله وزوجاته ومن أهل المدينة.[(٤)]

كـان الـنبي ﷺ يلـبي ويـردد النـاس تلبيتـه ، ويتلقـون عنـه في إعـلان واضـح بـإخلاص العبـادة لله ، وتوحيـده سـبحانه وتعـالى : (لبيـك اللـهم لبيـك ، لبيـك لا شـريك

---

(١) انظـر: صـحيح البخـاري، كتـاب المغـازي، بـاب حجـة الـوداع ج٥/١٢٣، ابن هشام، السيرة النبوية عنوان : (حجة الوداع) ج٤/٦٠١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ج ١٦ / ٢٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير، حجة الوداع ص ١٤٥ من رواية الإمام أحمد.

(٤) انظر :صحيح البخاري، كتاب المغازي باب حجة الوداع ج٥/١٢٥.

لـك لبيـك إن الحمـد والنعمـة لـك والملـك لا شـريك لـك).[(١)] هـذه التلبيـة الـتي تناقلتهـا الأمـة ولا تـزال ترددهـا إلى اليـوم هـي إعـلان واضـح وقـوي بـالبراءة مـن الشـرك وأهله وإرجاع الملك والنعمة لله وحده لا شريك له.

وقـد بـات الـنبي ﷺ في اليـوم الرابـع مـن ذي الحجـة قـرب مكـة، ودخلـها ضـحى اليـوم الخـامس، ودخـل البيـت الحـرام وهـو يـردد ((اللـهم إنـك أنـت السـلام ومنـك السـلام حينـا ربنـا بالسـلام))،[(٢)] ولمـا رأى البيـت قـال ﷺ: ((اللـهم زد بيتـك هـذا تشـريفاً وتعظيمـاً وتكريمـاً ومهابة)).[(٣)]

وتوجـه رسـول الله ﷺ إلى الكعبـة وطـاف بهـا وهـو راكـب ناقتـه ينظـر إليـه النـاس مـن كـل اتجـاه، فيقتـدون بـه ويسـألونه جـاءوا مـن كـل مكـان يحيطـون بـه وينظـرون لمـا يصنع ويسمعون لما يدعو.[(٤)]

---

(١) انظـر: ابـن كثـير، حجـة الـوداع، ص ١٣٥ مـن روايـة مسـلم، وروايـة البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية ج٢/١٤٧.

(٢) انظر: تخريجه عند ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٦.

(٣) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٥.

(٤)ابن كثير، حجة الوداع ص ١٤٦.

وقد استلم الرسول ﷺ الحجر بمحجن في يده، ورمل في الثلاثة أشواط الأولى،[1] وعند فراغه قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة]. وصلى ركعتين عند المقام، حيث جعله بينه وبين الكعبة قرأ في الركعة الأولى قل يا أيها الكافرون، وفي الركعة الثانية قل هو الله أحد، ثم اسلتم الركن وتوجه إلى الصفا وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة] حتى إذا صعد على الصفا استقبل الكعبة وكبر وقال: ((لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده))، ثم توجه إلى المروة وأكمل سعيه، كان ﷺ يَذكُر ويُذكّر بنصر الله له وهزيمة أحزاب المشركين الذين آذوه في مكة، وظهور التوحيد، وأن الله سبحانه وتعالى صدق وعده سينصر المسلمين ويحقق لهم ما وعد.

---

(١) ابن كثير، حجة الوداع ص ١٦٨.

وقد بقى رسول الله ﷺ في مكة أربعة أيام كان يقيم فيها بالأبطح. وخلال هذه الفترة قدم علي بن أبي طالب ؓ من اليمن، وكان ﷺ قد بعثه إليها، ووافى زوجته الحبيبة فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها.(١)

وفي ضحى يوم التروية الخميس الثامن من ذي الحجة خرج النبي ﷺ مع الحجيج إلى منى، حتى إذا جاء منى صلى بالناس الظهر والعصر جمعاً وقصراً وكذلك المغرب والعشاء، وكان بلال ؓ يؤذن لرسول الله ﷺ(٢) والناس يتبركون بفضل وضوء النبي ﷺ وفي صبيحة يوم عرفة صلى النبي ﷺ الفجر في الناس بمنى، وبعد شروق الشمس توجه إلى عرفات، وقد أمر أن تضرب له قبة في نمرة، وخالف قريش، واستشعر أمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة].

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٥٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٣٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ،علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ج٥/١١٠، وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٣٥.

ونـزل ﷺ في القبـة الـتي ضـربت لـه في نمـرة، وكـان يـوم عرفـة يوافـق السـادس مـن مـارس سـنة ٦٣٢م[١] وهـو الشـهر الثالـث أواخـر الشـتاء وبدايـة الربيـع، حيـث عرفـت مكة بشدة الحر حتى في الشتاء فكيف الربيع.

ولـذلك كانـت القُبـة للظـل، ولمعرفـة مكـان الـنبي ﷺ لمـن يقصـده وتحديـد مكـان وقوفـه بعرفـه، وبقـي ﷺ بالقبـة يـذكر الله تعـالى، ويطبـق مـا قالـه ﷺ: ((أفضـل الـدعاء يـوم عرفـة، وأفضـل مـا قلـت أنـا والنبيـون مـن قبلـي لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه))، وفي روايـة (لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، لـه الملـك ولـه الحمـد وهـو علـى كـل شيء قدير).[٢]

وقد روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ الآية: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وقـد ورد أنـه كـان مـن دعائـه في يـوم عرفـه ((اللـهم إنـك

(١) انظر: عبدالسلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي ص٢٨

(٢) مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج، ص٣٥٠.

تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وابتهل إليك ابتهال الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسده، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا، وكن بي رؤوفاً رحيما، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين)).[١] وثبت أنه دعا وهو على ناقته ﷺ.[٢]

واستمر الرسول ﷺ يدعو في قبته، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء، فركبها فأتى بطن الوادي فأمر أن يُنصت الناس،[٣] له ليسمعوا خطبته ويعوها فتوزع رجال ليصرخوا بما يقول ﷺ في الناس،[٤] وقد وردت روايات متفرقة عن أجزاء مما قال ﷺ في خطبته، وصعب على بعض الرواة استحضارها جميعاً نصياً،

---

(١) ابن كثير، حجة الوداع، ص ٢٤١؛ وتفسيره، ج١/٣٥٨.

(٢) انظر: صحح البخاري، حديث رقم: ٤٣٩٩، و ٤٤٠٠ .

(٣) البخاري، صحيحه، حديث رقم ٤٤٠٤.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٣ / ١٦٩.

لكنهم فهموا معانيها، وأوردوا تلك الأجزاء من الخطبة في روايات متفرقة ومناسبات متعددة وكان مما قال ﷺ فيها: [(١)] ((أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم،

---

(١)انظر: كتاب ألف عن الخطبة بعنوان (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة، دار القلم، دمشق ١٤٢٢هـ .

أيها الناس : إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا

ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمُن أنفسكم اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أشهد)).(١)

وكان مما قال ﷺ: ((إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية الوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً))،(٢) ومما قال ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).(٣)

وقد وردت الخطبة بألفاظ أخرى مع اتفاقها في معنى ما أورده بن هشام ولعل بعضها يوم العيد أو غيرها ومن ذلك ما ورد عند البخاري في صحيحه من حديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: ((الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٥؛ وانظر: أجزاء منها عند البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٠٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٤٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ /٦٠٥

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٠٣

أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: ألا أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى ثم قال أي بلد هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم وأموالكم قال: وأحسبه قال: وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ثم قال: ألا هل بلغت؟ مرتين)).[1]

(١) البخاري، صحيحه حديث رقم: ٤٤٠٦.

ومن الواضح أن هذه الخطبة أو الخطب تعد دستوراً للإنسانية جمعاء عبر العصور البشرية وأجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أهم الخطب التي نطق بها خاتم أنبياء الله ورسله ﷺ، بأمر الخالق موجهة إلى الخلق، فيها توحيد الله، وحفظ حقوقهم البدنية والروحية والمادية، وتحديد حقوق المرأة وكرامتها، وتحريم الاعتداء على حقوق الآخرين، والحرص على أداء الأمانة لأهلها، وبدأ نظام عالمي جديد يعتمد اقتصادياً على منع الربا، وأمنياً على نسيان الماضي وما فيه من الدماء، والحرص على حقنها حاضراً ومستقبلاً، وأخلاقياً على التحذير من الشيطان وعمله للإفساد بين الناس وإشاعة الإرهاب وسفك الدماء.

والتأكيد على المساواة بين الناس وأنهم أخوة وأصلهم واحد، وتذكيرهم بالمرجع الشرعي، وهو القرآن والسنة، والرسول ﷺ يؤكد هنا على النظام والشريعة ومرجعيتها، وبناء المجتمعات البشرية على ما نظمه لها خالقها، لكي تصل إلى السلام فيما بينها، وإلى رضا الخالق تبارك وتعالى، وإلى التفاهم والحياة المدنية السليمة، والحضارة الإنسانية القائمة على

الأسس الصحيحة والمساواة بين الناس.

كما اتضح حرص الرسول ﷺ أن يشهد الناس بأنه أدى أمانة الرسالة ﷺ وقام بواجبها، ولذلك لما سمع منهم تلك الشهادة رفع أصبعه إلى السماء وقال اللهم فاشهد، كان ﷺ يستشعر ما يعبر عنه الناس فيرفع بصره طالباً رضي الله سبحانه وتعالى وهو المطّلع عليه وعلى الناس.

وأكّد ﷺ أن عرفة كلها موقف، كما أكّد في مزدلفة على أنها كلها موقف، وأكّد حينما نحر في منى أن كل منى منحر.[1]

وبعد خطبته ﷺ بعرفة[2] نزل عليه قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج١/٧٢؛ وانظر: الطبري، تاريخه، ج٤ /١٧٠.

(٢) البخاري، في صحيحه حديث رقم: ٤٤٠٧.

وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة]، فلما سمع عمرالآية بكى. فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة أما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت، فكانت هذه الآية تنعي رسول الله ﷺ.[١]

ويأتي نزول الآيات تأكيداً لسماع الله لشهادة الناس بأن رسوله قد بلغ وأدى الأمانة ونصح الأمة، لتؤكد الآيات كمال الدين وتمام نعمة الله بأداء محمد ﷺ لمهمته وتأديته لرسالته، وتوديعه للناس وقرب رحيله وصدق قول الصحابة (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندرى ما حجة الوداع).[٢]

ومن المؤكد أنه كان للرسول ﷺ خطب أخرى متعددة في منى وفي مكة[٣] ، سواء منها ما كان يوم النحر

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٢٥؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، ج٥/١٢٧ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٥٧٩.

(٢) انظر: حديث ابن عمر عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٦.

(٣) انظر:إبراهيم: محمد إبراهيم محمد. الجانب الإعلامي في خطب الرسول

وصـــلاة العيـــد أم في غيرهـــا، تناقلـــها العلمـــاء والمحـــدثون، ونقلـــوا أجـــزاء منهـــا.(١) ومـــن ذلـــك مـــا رواه ابـــن عمـــر في البخـاري أن الرسـول ﷺ: (حمـد الله وأثـني عليـه ثـم ذكـر المسـيح الـدجال فأطنـب في ذكـره وقـال: مـا بعـث الله نـبي إلا أنـذر أمتـه، انـذره نـوح والنبيـون مـن بعـده، وإنـه يخـرج فـيكم فمـا خفـي علـيكم مـن شـانه فلـيس يخفـي علـيكم إن ربكـم لـيس علـى مـا يخفـى علـيكم، ثلاثـاً، إن ربكـم لـيس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة).(٢)

وبعـد نهايـة الخطبـة يـوم عرفـة أذَّن بـلال بـن ربـاح ﷺ، ثـم أقـام فصـلى رسـول الله ﷺ بالنـاس الظهـر ركعـتين، ثـم أقـــام بـــلال مـــرة أخـــرى، فصـــلى رســـول الله ﷺ بالنـــاس العصـر ركعـتين، ثـم ركـب ناقتـه، وجعـل بطـن ناقتـه إلى الصـــخرات أســـفل جبـــل الرحمـــة واســـتقبل القبلـــة واخـــذ يدعو ﷺ.(٣)

فلما غربت الشمس أردف معه أسامة بن زيد ثم أفاض من

ﷺ، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ، ص١١٩ و١٢٩

(١) ابن حجر، فتح الباري ج ٢٣٣/١٦.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج١٢٦/٥.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣٢٤/٣.

عرفات.[١] وكان يذكر قول الله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة]، وكان الرسول ﷺ يأمر الناس ((أيها الناس السكينة السكينة)).[٢]

وكان ﷺ يلبى، حتى إذا وصل إلى مزدلفة رفع بلال الآذان ثم أقام فصلى المغرب، ثم صلى العشاء قصراً، ثم نام ﷺ فلما طلع الفجر صلاها في أول وقتها ثم أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ يلّح في الدعاء حتى أسفر، وهو مردف للفضل بن عباس رضي الله عنه.

وقد روي أن النبي ﷺ (عاود الدعاء لأمته في المزدلفة، فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لهم إلا ظلم بعضهم بعضا، فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم، فلم يجبه هذه العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء، فأوحى الله إليه أنه غفر لهم كل شيء،

(١) انظر: رواية البخاري، كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، ج٢/١٧٦.

(٢)انظر:صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة، ج٢/١٧٦.

فجعل إبليس يدعو على نفسه بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه).[١]

وأمر ابن عباس أن يلتقط له سبع حجرات صغيرة للرمي قاس الناس عليها حجارتهم إلى اليوم،[٢] حتى وصل منى، فرمى جمرة العقبة راكباً بعد طلوع الشمس يكبر مع كل رمية،[٣] ثم رجع إلى منى وخطب في الناس صبيحة يوم عيد الأضحى.

وكان مما جاء في خطبته ﷺ (و بلال يقود براحلته، وأسامة بن زيد يظلله بمنى ما قرر فيها تحريم الزنا والأموال والأعراض، وذكر حرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد، فقال: «يا أيها الناس أيّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا، قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا»، أعادها مرارا «ثم رفع رأسه وقال: اللهم هل بلغت، اللهم هل

(١) أبو شهبه، السيرة النبوية، ص ٥٧٦.

(٢) انظر التخريج عند: إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، ص ٥٤٦.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج٤/ ٣٧٣

بلغـت، فليبلـغ الشـاهد مـنكم الغائـب، لا ترجعـوا بعـدي كفـارا يضـرب بعضـكم رقـاب بعـض» وأمـرهم بأخـذ مناسـكهم عنـه لعلـه لا يحـج بعـد عامـه ذلـك، وكـان وقوفـه بين الجمرات، والناس بين قائم وقاعد)).(١)

ومـا حُفـظ مـن خطبتـه ﷺ: ((اعبـدوا ربكـم وصـلوا خمسكم وأطيعوا إذا أُمرتم تدخلوا جنة ربكم)).(٢)

وكـان ممـا حفـظ عنـه ﷺ مـن تلـك الخطـب أيضـاً: ((لا فضـل لعربـي علـى أعجمـي ولا لأعجمـي علـى عربـي، ولا أبـيض علـى أسـود ولا أسـود علـى أبـيض إلا بالتقوى، الناس لآدم وآدم من تراب)).(٣)

وقـد يظـن الـبعض أن في ذلـك خطـأ مـن الـرواة في تكـرار المعـاني لكـن الـذي يبـدو والله أعلـم أنـه ﷺ تعمـد التأكيـد علـى بعـض القضـايا والمعـاني في أكثـر مـن خطبـة في حجـة الـوداع، ولـيس خلطـاً مـن الـرواة، بـل تكـرار لمـا فيـه المصـلحة لـبعض مـا دار في خطبـة الـوادع في أكثـر مـن

---

(١) صالح العلي، صحيح السيرة النبوية ص ٣٢٧.
(٢) ابن كثير، السيرة النبوية ج٤/٣٩٢.
(٣) الصلابي، السيرة النبوية ج٢/٧٨٠.

موضع.(١)

وبعد ذلك توجه ﷺ إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنه بيده الشريفة، وهذا يوافق عدد سني عمره ﷺ، ثم أمسك وأمر علياً رضي الله عنه أن ينحر ما بقي من المائة، وهذا يدل على فضل النحر وحرص الرسول ﷺ على قيامه بذلك بنفسه، وكان يكفيه أقل من ذلك العدد، لكنه ﷺ يدرك عظيم أجر النحر، ولذلك زاد ﷺ في العدد ولم يُعد هذا من الإسراف، بل من الطاعة والقربات إلى الله. كما يدل الموقف على مكانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرسول ﷺ، حيث استكمل نحر ما أهدى رسول الله ﷺ، واختياره لهذا الأمر دون غيره، هو تكريم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لنيابته عن الرسول ﷺ في هذا الموضع خاصة.

وقد أكل رسول الله ﷺ من لحوم هديه، حيث أخذ من كل بدنه بضعة وجعل ذلك في قدر وطبخ فأكل ﷺ من ذلك اللحم وشرب من مرقه، وقد أمر ﷺ بتفريق لحوم هديه وجلودها على الناس، وأمر بأن لا يعطى

---

(١) انظر : الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/ ٧٧٦.

الجزار أجره من لحمها .[(١)]

ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه الشريف، حلقه معمر بن عبد الله فبدأ بشقه الأيمن فحلقه، ثم شقه الأيسر، وذكر أنه أعطى نصف شعره لأبي طلحة الأنصاري، وهو زوج أم سليم، وأعطاه النصف الثاني وأمره أن يقسمه بين الناس.

وكانوا يتباركون بشعره وعرقه وريحه ﷺ، وقد قسم بين الناس الشعرة والشعرتين والثلاث .[(٢)]

وقد دعا الرسول ﷺ: ((اللهم اغفر للمحلقين، قالوا والمقصرين فأعاد رسول الله ﷺ وأعادوا ثلاثاً وقال في الرابعة والمقصرين)).[(٣)]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يعطى الجزار من الهدي شيء ج٢/١٧٦، وباب يتصدق بجلود الهدي، ج٢/١٨٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ج٤/٨٢، وأنظر :صحيح البخاري، كتاب الحج،باب الحلق والتقصير والإحلال ج٥/١٨٨؛ العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٢٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال ج٢/١٨٨.

وبعد حلقه طيبته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بطيب حملته معها.[١] وكان الناس يسألونه، منهم من قدم الحلق، ومنهم من قدم النحر، فيقول ﷺ: أفعل ولا حرج.[٢]

وتوجه بعد ذلك إلى مكة وطاف طواف الإفاضة، ثم شرب من سقاية العباس ﷺ، وتوجه إلى زمزم فشرب منها ﷺ وكان يحب أن ينزع مع بني عبد المطلب لكنه خشي أن يغلبهم الناس على سقيا زمزم فقال ﷺ: ((انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)).[٣]

ثم رجع ﷺ فبقي في منى ليالي التشريق يرمي جمرة العقبة والجمرات الأخرى الوسطى والصغرى، كل يوم بعد الزوال كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٧٨؛ وانظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٤١٠ ورقم ٤٤١١؛ وشرحه عند ابن حجر في فتح الباري، ج ٢٣٦/١٦.

(٢) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، ج١٩/٢؛ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/ ٣٩٣، وانظر : العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٨؛

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣٨١/٤.

حصاة، وكان يأذن لأصحابه بزيارة البيت الحرام أيام التشريق.

كان ﷺ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، يُعلِّم الناس مناسكهم، ويجيب على أسئلتهم، ويحدثهم بما يُوحي لهم أنه مودعهم، وقد انتشر الناس نزولاً بمنى المهاجرون والأنصار، والقبائل المختلفة وكان ﷺ يقول: ((منى مناخ من سبق)).[١] وكان يُرخص للرعاة والضعفاء والنساء أكثر من غيرهم. وقد ورد أنه خطب الناس ثاني أيام التشريق ويسمى يوم الرؤوس،[٢] وذكر في تلك الخطبة بعض ما ورد في خطبة عرفات وفي يوم النحر وزاد عليها، ومما قال ﷺ: ((ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه)).[٣]

وقد ورد أنه نزلت عليه سورة النصر في قوله تعالى: ﴿إِذَا

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٨.

(٢) سمى يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الهدي، (ابن كثير) السيرة النبوية، ج٣/٤٠٥.

(ولا يزال يسمى بهذا الاسم عند عوام الناس في نجد والحجاز،)

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٤٠١.

جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر]، فعُرف أنه الوداع.[١]

وبعد فراغ أعمال الحج رحل ﷺ من منى ونزل بالأبطح في مكة، وهو مكان يطلق على خيف بني كنانة أو المخضب، [٢] وكان من أنسب الأمكنة استعداداً لخروجه ﷺ من مكة.

وقد ورد أن أسامة بن زيد رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: أين تنزل غداً فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً، ثم قال: ((نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ويعني المخضب حيث تقاسمت قريش على الكفر)).[٣]

وفي صبيحة اليوم التالي صلى النبي ﷺ بالناس الفجر عند الكعبة وقرأ بسورة الطور كاملة، ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ووقف في الملتزم بين الحجر وباب الكعبة

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠٣؛ وانظر: حديث البخاري، كتاب التفسير، سورة إذا جاء نصر الله والفتح، ج٦/٩٣ - ٩٤.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤١٠؛ إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٩.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج ٤ /٤٠٧، من رواية البخاري.

وأخذ يدعو ﷺ.(١)

وقد أمر ﷺ الناس بالطواف للوداع فقال: ((لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت)).(٢)

وكان النبي ﷺ يراعى أحوال أصحابه وأمهات المؤمنين، فهذه عائشة (رضي الله عنها) رغبت بعمرة فما كان منه ﷺ إلا أن دعا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له: ((أخرج بأختك من الحرم فلتهل بعمرة، ثم لتطف بالبيت فإني انتظركما، قالت فخرجنا فأهللت ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة فجئنا لرسول الله ﷺ في منزله وهو في جوف الليل فقال: "هل فرغت؟ قلت نعم فأذن في أصحابه بالرحيل")).(٣)

وقد كان خروج الرسول ﷺ من أسفل مكة وتوجه

(١) ابن كثير، السيرة النبوية ج ٤ /٤١١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ج٤/٩٣، والبخاري،صحيحه، باب طواف الوادع.

(٣)أخرجه البخاري، في باب الحج على الرحل وباب قوله تعالى (الحج أشهر معلومات)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، بيان وجوه الإحرام ؛ وانظر العلي، صحيح السيرة ص ٥٣٤ . وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤١٠.

إلى المدينة، وكانت هذه الحجة هي الأولى بعد الهجرة، والآخرة لرسول الله ﷺ، كما كانت هذه الزيارة هي الوداع لمكة، فلم يزرها ولم يرها رسول الله بعد ذلك حتى توفي ﷺ.[(١)]

وفي مكة أثناء حجة الوداع كان ﷺ حريصاً على متابعة أصحابه وتفقد أحوالهم في الحج، فرغم انشغاله بعموم الحجيج فقد علم بمرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو ذو صحبة قبل الهجرة وبعدها، وأحد المبشرين بالجنة، فعاده النبي ﷺ ففي حديث سعد بن أبي وقاص في البخاري قال: (عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيت منه على الموت، فقلت يا رسول الله بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا قال أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال الثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا آجرك الله بها، حتى اللقمة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٤/١٢٦.

تجعلـها في فيِّ امرأتـك ، قلـت : يـا رسـول الله أأخلـف بعـد أصـحابي؟ قـال إنـك لـن تخلـف فتعمـل عمـلا تبتغـي بـه وجـه الله إلا ازددت بـه درجـة ورفعـة ، ولعلـك تخلـف حتـى ينتفـع بـك أقـوام ويضـر بـك آخـرون ، اللـهم أمـض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم).[1]

وفي هـذا الأمـر لطـف الـنبي ﷺ ورفقـه ومحبتـه لأصـحابه وتفقـده لهـم ، كمـا أن فيـه معجـزة لرسـول الله ﷺ ، فقـد بقـى سـعد بـن أبـي وقـاص ﷺ وعـاش مـدة بعـد الـنبي ﷺ ، وقـاد جيـوش المسـلمين في القادسـية وفي فـتح المـدائن ، حيـث دخـل عاصـمة الفـرس مكـبراً مهلـلاً رافعـاً صـوته بشـهادة أن لا إلـه إلا الله وان محمـداً رسـول الله وهكـذا صـدق فيـه قـول الرسـول ﷺ : ((ولعلـك تُخلـف حتـى ينتفـع بـك أقـوام ويضـربك آخرون)).[2]

وقفات عند حجة الوداع :-

- هـي الحجـة الوحيـدة الـتي شـهدتها الأمـة مـع رسـول

---

(١) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٤/١٢٧.

(٢) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب حجـة الـوداع، ج٥/١٢٨.

الله ﷺ، وأخذت منه أحكام الحج وتشريعاته مباشرة.

- كثرت الروايات عنها من شهود عيان مرافقين للنبي ﷺ، فقد صحبته أمهات المؤمنين وظهرت حكمة تعددهن، ولكل واحدة منهن حالها، مع نساء أخريات مما أوجد فتاوى متعددة في الحج حسب حالاتهن وما حدث لهن.

- وكان الناس شهوداً يأخذون الحج من رسول الله ﷺ مباشرة، كما قال: ((خذوا عني مناسككم))، كما أن روايات الخطب التي ألقاها ﷺ وعلى رأس ذلك خطبة عرفات، جاءت متعددة يكمل بعضها بعضاً، دون تعارض بينها. وقد يكون التكرار مقصوداً لذاته بين خطبة وأخرى لاختلاف السامعين أحياناً ولتأكيد قضية في أذهان الناس، كما كان شهود العيان عن قبائل ومناطق شتى شهدوا النبي ﷺ وعرفوا وصاياه، وحملوها في كل أنحاء بلاد العرب وخارجها.

- استشهد النبي ﷺ الناس وأمرهم أن يبلغوا ما سمعوا وسُر ﷺ بشهادتهم أنه بلغ حيث كان على يقين أن الله سيسأله عن ذلك.

- حرص ﷺ في خطبه المتعددة على تأكيد توحيد الله تعالى، وأنه مرسل من عنده بما فيه الخير للبشرية، وأكَّد على أهمية حقوق العباد وصيانة دمائهم وأموالهم، وعدم اعتداء بعضهم على بعض، أو ظلم أحد لآخر، وكذلك على صيانة حقوق المرأة وعدم استضعافها، وقطع صلة الأمة بالجاهلية و أنظمتها الفاسدة في كل مجال، ومنها المجال الاقتصادي بتحريم الربا، وكذلك الزنا، وسائر الظلم، كما أكَّد في خطبته على المساواة بين الناس، وتحريم الاعتداء على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

- وأكَّد ﷺ أن هنالك نظاماً ومرجعاً يتحاكم الناس إليه، وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن الأمة لن تضل إن تمسكت بهما، ومن هذا فالصلاحية دائمة للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يُحمّل الأمة وأفرادها مسؤولية تَعلم القرآن والسنة وتعليمهما للناس جيلاً بعد جيل.

- وقد أكَّد ﷺ على الحضور ضرورة التبليغ ((فليبلغ الشاهد الغائب فرُب مُبلغ أوعى من

سامع)).[١]

وقد طَبق ﷺ هذا الأمر بنفسه، فاستغل كل مناسبة ليربي الناس ويعلمهم ويفتيهم ويرشدهم ﷺ.

- واظهر الله سبحانه تمام هذا الدين بنزول آية الإكمال ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة]،

- كما استبشرت الأمة بنزول سورة النصر، وحزن الصحابة، حيث فهموا منها قرب أجل رسول الله ﷺ. وكانت هذه الحجة وداعاً حقيقياً من الأمة لنبيها ﷺ ومن النبي ﷺ لأمته، حيث أشهد الله على شهادتهم له بأدائه الأمانة.

- كان الحج وعلى رأسه التلبية والدعاء في سائر شعائره توحيداً وتعظيماً لله وبُعداً عن الإشراك به وأداءً للنسك كما أمر

(١) انظر: نص الخطبة في هذا الكتاب.

الله ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ﴾ [البقرة].

- حرص الرسول ﷺ على الرفق والسكينة في الحج، وأمر الناس بذلك، ويّسر أحوال الضعفاء من النساء والرعاة وغيرهم.

- ارتبطت كثير من شعائر الحج بآيات قرآنية سواء منها سورة الحج التي سميت بهذا الاسم أو الآيات القرآنية الأخرى المرتبطة به ومن ذلك: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾ [البقرة].

- مطلوب في الحج بعد الناس عن الرفث والفسوق ﴿

ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة]، وتأتي الآية التي تؤكد فريضة الحج للمستطيع ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران]، لتؤكد مبدأ التيسير وهو أن الحج للمستطيع وليس واجباً على من لا يقدر عليه.

- تميزت أيام الحج بتسميات خاصة لها معان، من ذلك يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ [البقرة].

- أن مما تعلمته الأمة من نبيها ﷺ السماع له في محبة أهل البيت عموماً وتقديمهم وتفضيلهم، وخاصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فنقل عنه أهل السنة تلك المحبة والتقدير لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولأبنائه

ولسائر أهل البيت. والذي علمنا هذه المحبة ﷺ هو الذي علمنا التوحيد وليس شرطاً لمحبة علي وآل البيت أن يغالى فيهم فيخرجوا من بشريتهم ويشرك بهم من دون الله حتى يصل البعض إلى تأليههم وعبادتهم ودعائهم من دون الله. وهم بحاجة لمن يدعو لهم لا من يدعوهم بعد موتهم، فحاشا لله أن يرضى رسول الله ﷺ أو أهل بيته الطيبين الطاهرين بذلك.

وهذا الغلو ليس محبة بل هو شرك أكبر يرضي الشيطان ويبعد عن آل البيت وما يرضيهم، أكثر من أن يقرب إليهم. وهذا لا يجوز مع النبي ﷺ نفسه ولا أحد من أهل بيته، وما غضب الله على النصارى إلا لغلوهم في عيسى عليه السلام، فاللهم أحشرنا مع الموحدين ومع آل البيت الطيبين.

- كما تأتي وصيته ﷺ بآل بيته تمهيداً للقاء ربه ﷺ، ولم يبق رسول الله ﷺ بعد هذه الحجة إلا قرابة ثلاثة أشهر. وصدق قوله ﷺ للناس: ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)).[1]

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم: ٣٦٥٤.

حديث غدير خُم: -

وقعت الحادثة أثناء عودة رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة، فكل المسلمين يعرف أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، من أحب الناس وأقربهم إليه وله منزلة خاصة فهو زوج فاطمة ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الشباب، وأحد العشرة المبشرين، بالجنة أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنه.

بعثه النبي ﷺ في مهمة إلى اليمن فكان محسناً أميناً صادقاً، ولعل بعض من كان معه نقموا عليه لأنه لم يفضلهم على غيرهم، كان أميناً حقاً عادلاً ومنصفاً. ومن المعروف أن علياً رضي الله عنه وصل إلى مكة أثناء وجود الرسول ﷺ في حجة الوادع وقبل يوم عرفة، وقد انشغل الرسول ﷺ ومن معه في الحج.

وفي طريق العودة إلى المدينة، وفي موضع ماء يسمى غدير خُم أو قبله تكلم بعض من صحب علي في سفره إلى اليمن في علي أمام النبي ﷺ، فدافع عنه ﷺ، ففي حديث زيد بن أرقم قال: (قام فينا رسول الله ﷺ، خطيباً بماء يدعى خُماً، بين مكة و المدينة. فقال: أما

بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، و إني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي).[١]

وقد ورد في ألفاظ أخرى أنه ﷺ قال وقد أخذ بيد علي: ((من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)).[٢]

ولاشك أن علياً أُوذي من بعض رجال الجيش الذين صحبوه إلى نجران، كما أوذي النبي ﷺ من بعض المشاركين في جيش حنين، والأمة كلها تجمع على موالاة علي ﷺ ومحبته والدفاع عنه وعلى رأس ذلك

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه**، فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ﷺ، ج١٢٣/٧، وانظر تخريجه عند صالح العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٥٠، ٥٥١.

(٢) أخرجه النسائي، في خصائص علي ص ٢١؛ وانظر تخريجه عند: صالح العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٥١؛ وعند محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ج ٢ / ٥٨١، وانظر تخريج ابن كثير للحديث في السيرة النبوية، ج٤/٤٢٥.

أهـل السـنة والجماعـة، وأولهـم أصـحاب الـنبي ﷺ الـذين سمعـوا مقالتـه في غـدير خُـم وفي غيرهـا وعَلمـوا محبتـه ﷺ لعلـي، فـأحبوه زيـادة كمـا كـانوا يحبونـه سـابقاً، وهـو أهـل لـذلك، ولـو سمعـوا منـه ﷺ شـيئاً آخـر يتعلـق بالخلافـة وغيرهـا لمـا تركـوا وصـية الرسـول ﷺ، خصوصـاً أن هـذا لـيس أمـراً هينـاً يُتجـاوز فيـه، ولا يعقـل أن يكـون قـال شـيئاً مـن ذلـك، ولم يكتشـفه هـذا الجمـع الكـبير وهـم مـن الصـحابة ولم ينقلـه التـابعون ثـم يـزعم أنـا س متـأخرين أنهـم أعلـم بقـول الرسـول ﷺ مـن الصـحابة أنفسـهم الـذين سمعوا منه مباشرة وشهدوا الحادثة.

فحاشـا لله أن تكـون أمـة محمـد ﷺ وتربيتـه مـن الصـحابة مـن السـوء بمـا يـزعم هـؤلاء الغـلاة في علـي ﷺ الـذين وصـل بعضـهم في غلـوه إلى تأليـه علـي وعبادتـه، وحاشـا لله أن يتركـوا شـيئاً أمـر بـه ﷺ، ونحـن نعلـم أن عليـاً ﷺ لم يقـل بـه وهـو أشـجع النـاس في زمانـه، ولـيس هـؤلاء الطـاعنون في الصـحابة بأشـجع مـن علـي، ولا أكثـر محبـة لعلـي مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ، فاللـهم احشـرنا مـع علـي وأبـي بكـر وعمـر وعثمـان ﷺ مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ.

بعث جيش أسامة بن زيد : - [(١)]

كانت الروم تسيطر على بلاد الشام، وقد كتب رسول الله ﷺ إلى ملكهم هرقل في السنة السادسة للهجرة كتابه المشهور.[(٢)]

وكانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة إلى أطراف الشام الجنوبية، نواحي الأردن، حيث استشهد عدد من الصحابة، منهم عبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة (قائد الجيش) مولى رسول الله ﷺ، [(٣)] وتبع ذلك غزوة تبوك التي قادها الرسول ﷺ قريباً من الأردن، حيث حدود الروم وسيطرتهم، إلا أن الرسول ﷺ لم يلق كيدا، [(٤)] حيث إن ملك الروم أمر بعدم الاحتكاك بقوات المسلمين. ولعل قناعته بأن المسلمون قادمون لنشر الإسلام فيما تحت قدميه من الشام وغيرها وأن هذا موعود إلهي عرفه كان وراء

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفي فيه، ج٥/١٤٥.

(٢) انظر : كتاب الرسول صل إلى هرقل في هذا الكتاب .

(٣) انظر : غزوة مؤته في هذا الكتاب .

(٤) انظر : غزوة تبوك من هذا الكتاب .

امتناعه عن مقاومتهم.

وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن عاهد عدداً من زعماء المنطقة وأوضح قوة المسلمين وسيطرتهم وتطلعهم لما وراء تبوك.

وبعد عودته ﷺ انشغل بعدة أمور منها حجة الوداع، وعقب عودته إلى المدينة من الحج واستقرار الأمور في بداية السنة الحادية عشر للهجرة ندب ﷺ الناس لغزوة الروم في أواخر شهر صفر واستدعى ﷺ (أسامة بن زيد بن حارثة)، وهو ابن شهيد وقائد مؤتة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، وكان شاباً صغيراً في الثامنة عشر من عمره وأمره[١] ﷺ قائلاً : ((سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، وأسرع السير تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فاقل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع)).[٢]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج٢٤٨/٢ (وانظر ترجمته في المعاشرون للنبي ﷺ.من هذا الكتاب.

(٢) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج ١٩٠/٢.

كـان هـدف الجيش محـدداً وهـي تخـوم البلقـاء مـن أرض فلسـطين، [(١)] والهـدف واضـح هـو إثبـات القـوة وبسـط السـيطرة، والخطـة واضـحة وهـي سـرعة إنجـاز المهمـة وعدم الإطالة فيهم.

وقـد انتُـدب ﷺعـدداً كـبيراً في هـذا الجـيش قـدر بثلاثـة آلاف مقاتـل، [(٢)] كـان مـنهم شـيوخ الصـحابة أمثـال أبـي بكر وعمر رضي الله عنهم. [(٣)]

وقـد استغرب بعضـهم توليـة أسـامة بـن زيـد وهـو شـاب حـدث على شـيوخ أسـن مـن أبيـه أسـلموا قبـل ولادتـه وهـم أهـل قـدرة علـى القيـادة ودرايـة، فبلـغ ذلـك رسـول الله ﷺ فقـال: ((إن تطعنـوا في إمارتـه فقـد كنـتم تطعنـون في إمـارة أبيـه مـن قبـل، وأيـم الله إن كـان لخليقـاً للإمـارة، وإن كـان لمـن أحـب النـاس إليّ، وإن هـذا لمـن أحـب النـاس إلى مـن بعده)). [(٤)]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/ ١٠٥٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣ / ١١٢٠.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٧٦.

(٤) رواه البخـاري في صـحيحه (بـاب بعـث النـبي ﷺ أسـامة بـن زيـد في مرضـه الـذي مـات فيـه، حـديث رقـم: ٤٤٦٨؛ وابـن أبي شـيبة، المغـازي، ص

وعقــد ﷺ لــواء أســامة بيــده وســلمه إليــه، ووجهــه بتوجيهـات وعسـكر بجيشـه بـالجرف شمـال المدينـة انتظـاراً لأمـر رسـول الله ﷺ لـه بـالانطلاق، إلا أن مـرض الرسـول ﷺ حـال دون تحـرك الجـيش، حيـث اسـتمر في معسـكره أثنـاء المـرض وبعـد وفـاة الرسـول ﷺ شـاركوا في الصـلاة عليـه، وعـادوا لمعسـكرهم بانتظـار أمـر أبـي بكـر الصـديق الـذي أنفـذه، كمـا خطـط وأوصـى بـذلك ﷺ ((أنقـذوا جـيش أسـامة)).[1] فكـان في تحـرك الجـيش وقيامـه بمهمتـه بركـة عظيمـة علـى الإسـلام ودولتـه الـتي تـربص بهـا الأعـداء بعـد وفـاة الرسـول ﷺ، فكانـت حركـة الجـيش مخيفـة للأعـداء المتربصـين، الـذين عـادوا للحفـاظ علـى مـواقعهم بـدلاً مـن الـتفكير بغـزو المدينـة، كمـا أثبتـت للـروم اسـتمرار المسـلمين في السـير علـى خطـط الرسـول ﷺ الـتي بـدأها بنفسـه لنشـر الإسـلام في الشـام وغيرهـا، ممـا هـو تحـت سـيطرة الـروم، وأن وفـاة الرسـول ﷺ لم توقـف مـد الإسـلام، حيـث وضـع ﷺ خطتـه لنشـر نـوره في الشـام ومـا جاوره بعد وفاته ﷺ.

.٣٧٦

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٩١/٢.

كان أسامة ومن معه امتداداً لوالده زيد بن حارثة ومن معهم ممن حمل دعوة لا إله إلا الله.

كما أن تعيين أسامة وإبقاء أبي بكر له بعد توليته الخلافة إعلاناً للجميع بنبذ العصبية، والسير على منهج رسول الله ﷺ في مراعاة مصالح الأمة والبعد عن العصبية، وأن القيادة لمن هو أفضل للأمة، وليس لذوي الحسب والنسب فقط أو لكبار السن، وفيها أيضاً إعلان صريح بحب رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد ولوالده من قبله رضي الله عنهم.

إقامة دولة الإسلام:-

كان واضحاً منذ بعثة الرسول ﷺ، أنه يسعى لنشر توحيد عبودية الله سبحانه وتعالى، وإقامة دولة رحيمة ونظام عادل يطبق فيه شرع الله على خلقه، والشرع كله رحمة وعدل.

ومنذ الأيام الأولى للدعوة في مكة كان ﷺ يبشر أصحابه بانتشار الإسلام في كل مكان وغلبته على الشرك وأنظمته المختلفة.

ومكة وما حولها التي بدأت فيها رسالة الإسلام كانت عديمة النظام قائمة على الأعراف والعادات التي كان معظمها ظالماً جائراً، فليس فيها تشريع محدد ولا نظام مؤسسي ولا قضاء منصف، ولا شريعة معلومة، وكانت تسود بينهم الموبقات كالزنا والخمر، وأكل الربا، ووأد البنات، والقتل واحتقار المرأة، وبالتالي فإن مكة وما جاورها بجاهليتها حاولت منع انتشار الإسلام بما يحمله من نظام وعدل وإنصاف أوله التوحيد.

والإسلام كما نعرف جاءت تشريعاته في أوقات متفرقة، لكن ملامحه واضحة منذ البداية، وهي حفظ

حق الله وحقوق عباده، والرحمة والعدل والمساواة بين الناس، والإحسان في كل شيء، مع سياسة داخلية وخارجية لهذا المجتمع تراعي الحقوق والعدل وهذه أهم المقومات لأي مجتمع مدني متحضر.

وحين صعب الأمر على الرسول ﷺ في تحويل مكة إلى مجتمع ودولة مسلمة بدأ يبحث في الأماكن والقبائل الأخرى عمن يعينه، بمكان مناسب وقوم مساندين لدولة الإسلام، يعيش فيها المسلمون في مجتمع إنساني مسلم مسالم متعاون، مكونين أمة تفوق الأمم الأخرى وترتبط بالله وشرعه لتقود البشرية للسعادة والكمال ولتنصف نفسها، وأصحاب الديانات الأخرى ممن يطلبون الحياة الكريمة.

ولذلك أخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل أثناء الحج وغيره من مواسم العرب وأسواقها باحثاً عن من يؤيه وينصره ليقيم مجتمعاً لا يفرق فيه بين العرب والعجم قادراً على تنظيم نفسه والدفاع عن كيانه أمام الأعداء المختلفين، محصناً بالعدل والإيمان.

وبعون رباني وجد رسول الله ﷺ ما ينشده في الأنصار من أهل المدينة، الذين قابلوه في موسم الحج وسمعوا له

وصدقوه واستعدوا ليجعلوا مدينتهم قاعدة لدولته المرتقبة ومجتمع السلم المسلم، ورجالهم جنداً مناصرين بالنفس والمال لهذا الدين وما يتطلب من نظام.

يقول محمد حميد الله في كتابه "الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة": (إن السياسة الحكومية في العهد النبوي على صاحبه السلام كانت قد اُلقيت أساساتها قبل الهجرة إلى المدينة في بيعات العقبة الأولى والثانية).[(١)] وتم تطبيقها بالتدرج عملياً بعد الهجرة، حتى اكتمل بناء الدولة.

وقد ألفت كتب وأبحاث مختلفة عن قيام دولة الرسول ﷺ ونظامها ووظائفها والقائمين عليها، ولعل من أبرز ذلك ما كتبه الخزاعي في تخريج الدلالات السمعية،[(٢)] الذي شُرح من قبل الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه: "نظام الحكومة النبوية" المسمى

(١) ص ٢١

(٢) الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت: ٧٤١هـ). تخريج الدلالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنايع والعمالات الشرعية، حققه أحمد محمود أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠١هـ

التراتيب الإدارية، وكذلك ما كتبه عون الشريف قاسم في كتابه: "نشأة الدولة الإسلامية". وقد قال الكتاني في مقدمة كتاب التراتيب الإدارية: (كان ﷺ يشغل منصب النبوة الديني على قاعدة جمع دينه القويم بين سياسة الدين والدنيا جمعاً مزج بين السلطتين، بحيث كادا أن يدخلا تحت مسمى واحد وهو الدين وكذلك وقع، كانت الإدارات اللازمة للسياستين على عهده صولجانها دائر والعمالات بأتم أعمالها إلى الترقي، والعمل سائر).(١)

لقد كان التنظيم النبوي لأعمال الإدارة ووظائف الأمة، وترتيب الدولة وما حمله من أمثلة في السيرة والسنة أساساً اقتبس منه المؤلفون والفقهاء في كتب الأحكام السلطانية، ما استندوا عليه في التنظير للنظم الإسلامية وإدارة الدولة في مختلف العصور، سواء منها الإدارة السياسية، أم المالية، أم العسكرية، أم الاجتماعية وغيرها.

لقد كان بين تلك النظم والتشريعات وبين الوقائع

(١) عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/ ٩.

التاريخيــة تلاحــم وتــرابط جعلنــا نعــرف تفصــيلات أدق عمــا طبقــه الرســول ﷺ مــن أجــل بنــاء الدولــة الإســلامية ومجتمعهـــا وتكـــوين أول حكومـــة ونظـــام سياســـي في الإسـلام كـان نـواة لمـا جـاء بعـده مـن أنظمـة ودول مختلفـة وتفاوتت فيما بينها بالأخذ من سنته ﷺ في هذا الجانب.

لقــد كــان الظلــم يقــع علــى أصــحاب رســول الله ﷺ في مكـة، فيبشـرهم بأنـه سيأتي يـوم يمنـع فيـه الظلـم ويقـام فيـه العـــدل لـــيس في مكـــة وحـــدها، بـــل في أصـــقاع كـــثيرة يعرفونهـا، فحينمـا اشـتكى لـه خبـاب بـن الأرت مـا كـان يتعـرض لـه مـن أذى، وطلـب مـن رسـول الله ﷺ أن يـدعو علـى مـن ظلمـه، قـال لـه ﷺ: ((ليـتمن الله هـذا الأمـر حتـى يسـير الراكـب مـن صـنعاء إلى حضـرموت مـا يخـاف إلا الله والذئب على غنمه)).[١]

كان موعود الله ورسوله بانتصار الإسلام واستخلاف المسلمين في الأرض والتمكين لهم، يعني أمنهم، وبالتالي قيام تنظيم ونظام يتحقق من خلاله الاستقرار، يجمع بين التشريع

---

(١) رواه البخــاري في صــحيحه، كتــاب المغــازي، بــاب مــا لقــي النــبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/٢٣٨.

وتطبيقه في الواقع من خلال سياسة الدنيا بالدين، هذا الوعد كان واضحاً في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور]. إن الاستخلاف في الأرض يعني حكمها وتنظيمها وسياستها وإدارتها.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

لقد كان واضحاً للرسول ﷺ أن النظام الإسلامي السياسي الذي أسس له ﷺ سيرث الأنظمة العالمية المعاصرة، كنظام الأكاسرة في فارس، ونظام القياصرة عند الروم. فقد روى جابر بن سمره أن رسول الله ﷺ

قال: ((لتفتحن أرض كسرى عصابة من المسلمين))،[١] وفي أثناء حفر الخندق قبيل غزوة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة اعترضت لبعض الصحابة صخرة فقام الرسول ﷺ ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثانية فبرقت فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثالثة فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضربها الثالثة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة)).[٢]

كان ﷺ يُربي أصحابه على امتداد الإسلام ودولته إلى أصقاع الأرض المختلفة وأن المسلمين سيفتحونها،

---

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٧١.

(٢) رواه احمد في مسنده ج ٤ /٣٠٣، وحسنه عدد من العلماء منهم ابن حجر (انظر د. أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ / ٤٢٣).

ود.مهدي رزق الله أحمد : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية ص٤٤٩، (هامش ٤٢).

ليحولــوا النــاس إلى عبــادة الله ســبحانه تعــالى في نظــام مؤسســي ديـني إداري سياســي عرفـه العـوام والخـواص مـن المسـلمين، ولـذلك نجـد ربعـي بـن عـامر يتحـدث عـن هـذا الهـدف النبيـل الـدافع لإقامـة نظـام يسـود فيـه العـدل بـين الإنسـانية قـال لرسـتم وهـو يحـاوره قبيـل معركـة القادسـية: (إن الله ابتعثنـا لنخـرج مـن شـاء مـن عبـادة العبـاد إلى عبـادة الله، ومـن ضـيق الـدنيا إلى سـعتها، ومـن جـور الأديـان إلى عدل الإسلام ...).[1]

لقـد سـعى رسـول الله ﷺ منـذ أيـام دعوتـه الأولى إلى قيـام نظـام إنسـاني يسـوس النـاس علـى العـدل والمسـاواة، إن قيـام دولـة الرسـول ﷺ كـان تـدريجياً انطلـق مـع الـدعوة والنبـوة، وتأكـد بعـد الهجـرة، ونمـا وازدهـر بعـد فـتح مكـة حتـى سـادت دولـة الرسـول معظـم أنحـاء الجزيـرة العربيـة، وشـغل ﷺ منصـب القيـادة العليـا في الدولـة الإسـلامية مـع شـرف النبـوة والرسـالة في وقـت واحـد، وأعـد أصـحابه مـن بعده لتنظيم العالم كله وإقامة التوحيد والعدل.

وقــد ضــبط ﷺ أمــور الدولــة (بأنظمــة ومناصــب

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/١٠٦.

وعمـــالات ووظــائف اســتقامت بهـــا دولتـــه وســـارت أحوالهـــا ، ونظمــت قوتهـــا البشــرية والماليــة والاجتماعيــة والأمنية وسائر أمورها الداخلية والخارجية).[١]

وهذه الإدارة الفعالة المتميزة كانت جزءاً من الدين الإسلامي الذي حمله ﷺ رحمة للبشرية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، حيث جمع ﷺ بين الدين والدنيا بشكل أدهش المسلمين وغيرهم.

يقول مايكل هارت (Michael H.Hart)

في كتابه أعظم مائة رجل في تاريخ البشرية :

(aranking the most inflontial persons : (إن هــذا الاتحــاد الفريــد الــذي لا نظــير لــه للتــأثير الــديني والــدنيوي معــاً ممــا يخــول محمــداً ﷺ أن يعتــبر أعظــم شخصــية مفــردة ذات تــأثير في تاريخ البشرية).[٢]

تنظيم الدولة وولاياتها : -

كانت بلاد العرب وخصوصاً الحجاز ونجد، بعيدة عن

---

(١) انظـر: د. عبــد العزيــز العُمــري، مبــادئ التخطــيط والإدارة في الســيرة النبويــة ص ١٤

(٢) مايكل هارت، المائة الأوائل، ص ٢١.

التنظيم السياسي والإداري، خاضعة للأعراف والقبائل التي تدير نفسها عشوائياً، دون سياسة ودولة معينة في الغالب، فلم يعرف في مكة قيادة مسموعة وإدارة مسئولة، ولا في المدينة شيء من ذلك، حيث ساد عندهم التنظيم القبلي وأعرافه، فرغم أنهم سكان مدن إلا إنها كانت دون تنظيم أو إدارة محددة، حتى أصبحت تحت حكم الرسول ﷺ.

لقد كانت إدارة الحكم وتنظيمه إحدى العلامات البارزة التي جاءت في القرآن يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء].

ويقول تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد].

كان الرسول ﷺ رأس الدولة، ويعين الموظفين

والعمـــال.[١] وكـــان ﷺ حريصـــاً علـــى الإدارة وترتيـــب المســؤوليات. ومنــذ بيعــة العقبــة الثانيــة نظــم الرســول ﷺ المبــايعين وطلــب مــنهم أن يخرجــوا لــه نقبــاء مــن بيــنهم يكونـــون مســـئولين عـــن الآخـــرين لتلقـــى الأوامـــر والتوجيهات ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه.[٢]

وكانت البيعة من الرجال والنساء ذات معنى خاص[٣]وردت في كتاب الله يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الممتحنة].

كانت أوامر الرسول ﷺ واضحة في ترتيب المسؤولية في أي تجمع قليل أو كثير، فقد قال ﷺ: ((لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة

---

(١) انظر: عمـال الرسـول ﷺ علـى البلـدان عنـد خليفـة بـن خيـاط، تاريخـه، ص ٦٠ (تسـمية عمالـه ﷺ)؛ وعبـد العزيـز العُمـري، الولايـة علـى البلـدان في عصـــر الخلفـــاء الراشـــدين، ص ٣٩ (الولايـــة علـــى البلـــدان في العصـــر النبوي).

(٢) انظر: تفصيلات ذلك في بيعة العقبة الثانية في هذا الكتاب.

(٣) الكتاني التراتيب الإدارية ج ١ / ٢٢٢.

من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم)).(١)

وكـان ﷺ يسـوس أمـور الدولـة العسـكرية والمدنيـة فيبعـث الجيـوش والسـرايا، ويرتـب قيادتهـا، بـل يتخـذ الاحتياطـات حتـى لا يشـغر منصـب القيـادة فيهـا، ففـي غـزوة مؤتـة استخلف رسـول الله ﷺ علـى جـيش مؤتـة زيـد بـن حارثـة وقال: ((فـإن أصـيب فجعفـر بـن أبـي طالـب، فـإن أصـيب فعبـد الله بـن رواحـة، فـإن أصـيب فليرتـض المسلمون رجلاً)).(٢)

لقـد كـان التنظـيم وترتيـب القيـادة والسـمع والطاعـة لهـا بالمعروف مما ربى عليه الرسول ﷺ الأمة.

لقـد أصـبحت المدينـة عاصـمة الدولـة الإسـلامية، وكـان الرسـول ﷺ هـو الحـاكم الفعلـي للمدينـة المنـورة، وهـو الـذي يهـتم بـإدارة شـئونها، كمـا كـان الرسـول ﷺ يستخلف علـى المدينـة مـن يختـاره مـن أصـحابه أثنـاء غيابـه عنهـا، وقـد ذكـر أصـحاب السـير عنـد كـل غـزوة اسـم مـن

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ / ١٧٧

(٢) ابـن أبي شـيبة، المغـازي ص ٣٦٧؛ ابـن تيميـة، السياسـة الشـرعية، ص١٦.

انظر: غزوة مؤته من هذا الكتاب.

استخلفه الرسول ﷺ على المدينة.

ومن أشهر الذين ولاهم الرسول ﷺ على المدينة أثناء غيابه: عبد الله بن أم مكتوم،[١] حيث ذكر أنه ولاه قرابة (١٣) مرة،[٢] منها في غزوة بدر،[٣] ومنها في غزوة حمراء الأسد وغيرها من الغزوات،[٤] كما استخلف الرسول ﷺ عثمان بن عفان على المدينة المنورة في بعض غزواته.[٥]

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة في غزوة تبوك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وحينما شق الأمر على علي ﷺ، قال له الرسول ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).[٦]

---

(١) عبد الله بن أم مكتوم، صحابي قرشي أسلم قديماً في مكة، كان من المهاجرين الأولين، وهو الأعمى المذكور في سورة (عبس) استشهد في معركة القادسية (ابن حجر، الإصابة، ج٢/٥٢٥).

(٢)ابن حجر الإصابة ج٢/٥٢٣.

(٣)خليفة بن خياط، ص ٩٦

(٤)ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٠١، ١٠٢.

(٥)السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٤٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ج٥/١٢٨.

وعلى العموم فإن الرسول ﷺ كان يحرص باستمرار على بقاء من ينوب عنه في تصريف أحوال المدينة، ولو كانت فترة غيابه قصيرة. وهذا يعطينا دلالة عظيمة على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الجانب الإداري والتنظيمي في الحكومة النبوية.

وحينما اتسعت الدولة الإسلامية في عصره ﷺ وتجاوزت حدود المدينة المنورة، أخذ الرسول ﷺ يرسل العمال من الولاة والقضاة وغيرهم إلى مختلف المناطق والأقاليم، بل وحتى القبائل، لأمور عدة وبصلاحيات منضبطة، حددها لهم الرسول ﷺ وهي في مجملها ضوابط عامة، وقد يختلف بعضها من إقليم إلى إقليم ومن ولاية إلى ولاية.

وأهم الولايات التي عرفت في العصر النبوي:-

ولاية اليمن:-

أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الولاة والقضاة إلى اليمن في أوقات مختلفة وبأهداف واختصاصات محددة لكل وال من هؤلاء، سواء أكان اختصاصه محدداً بإقليم

والإمام أحمد في مسنده ج ١٨٢/١.

معين أم بأعمال معينة، كجمع الصدقات وتوزيعها أو غير ذلك. وقد برزت أسماء كثيرة لولاة على اليمن في عصر الرسول ﷺ كان أشهرهم معاذ بن جبل رضي الله عنه،[١] الذي أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن أميراً لأمراء الرسول[٢] فيها وقاضياً ومعلماً، وقد كان من أبرز مهام معاذ رضي الله عنه في اليمن تعليم الناس الدين والشريعة، والقضاء بين الناس، إضافة إلى جمع الصدقات مع العمال الآخرين الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى اليمن.[٣]

وقد أمر الرسول ﷺ معاذاً بأمور شرعية تتعلق بالزكاة والأطعمة اشتهرت عن معاذ رضي الله عنه.[٤]

---

(١) معاذ بن جبل: ابن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري صحابي جليل شهد معظم المشاهد مع الرسول ﷺ وجاهد في الشام مع أبي عبيدة بن الجراح وبها توفي في طاعون عمواس سنة ١٧هـ (ابن حجر، الإصابة ج٣/٤٢٦).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، باب (بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن)، ج٥/١٠٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص٩٧. البلاذري، فتوح البلدان، ٨١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٨٠.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ٨٣؛ انظر: صحيح البخاري، (باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن)، ج٥/١٠٨ - ١٠٩.

استمر رضي الله عنه في تأدية عمله بقية عصر الرسول ﷺ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء ويردها على الفقراء مما زاد في انتشار الإسلام وزيادة رقعته في اليمن، وكان معاذ يقوم بالولاية على منطقة (الجَنَد)،[١] بالإضافة إلى إشرافه العام على بقية الولاة.

وإلى جانب معاذ هناك العديد من الولاة الذين تقاسموا اليمن وحضرموت، وارتبطوا بأقاليم محددة، واستمروا يؤدون رسالتهم على أكمل وجه، حتى إذا قامت الفتنة في اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ وظهر فيها الأسود العنسي الكذاب، اشترك الولاة في دفع هذا الخطر، ومحاربة المرتدين مع الأسود العنسي الكذاب، حتى استقر الأمر للإسلام في اليمن، في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[٢]

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦، الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤. (والجند) بفتح الجَنَد هي أحد الأقسام الرئيسة لليمن في صدر الإسلام، وبه مدينة سميت باسمه واشتهرت بمسجد معاذ بن جبل (ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٢/١٦٩).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ١١١، ١١٣.
اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٢، الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠.
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/٣٧٨.

مكة المكرمة:-

دخلت تحت السيادة الفعلية للحكومة النبوية بعد فتحها في العام الثامن للهجرة، وقد عين الرسول ﷺ والياً عليها (عَتّاب بن أَسيد بن أبي العيص).[١] وقد استمر أميراً لمكة أيام الرسول ﷺ، وأيام خليفته أبي بكر ﵁، وتوفي في أول خلافة عمر ﵁.[٢] وقد دارت بين الرسول ﷺ وبين عَتّاب العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون مكة، وشئون شرعية أخرى مختلفة.[٣]

الطائف: -

أسلمت في وقت متأخر برضا أهلها، بعد أن عجز المسلمون عن فتحها خلال الحصار الذي أعقب غزوة حنين. وقد ولّى عليها الرسول ﷺ (عثمان بن أبي

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٢٦. وعتاب بن أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. من قريش، أسلم يوم الفتح، وعينه الرسول ﷺ عاملاً على مكة، توفي الرسول ﷺ وهو عليها فأقره عليها أبو بكر، وتوفي في بداية عهد عمر. (ابن سعد، الطبقات، ج٥/٤٤٦، وابن حجر، الإصابة ج٢/٤٥١).

(٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١/١٣.

(٣) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢٨٦.

العــاص).[١] وتــوفي رســول الله ﷺ وهــو علــى الطــائف، وأقـره أبـو بكـر عليهـا كمـا أقـره عمـر، ولكنـه طلـب مـن عمـر بعـد ذلـك أن يعفيـه مـن منصـبه، فنقلـه إلى البصـرة والبحرين.

وأمـا بقيـة الحجـاز فقـد عـين الرسـول ﷺ ولاة للمـدن والقـرى الأخـرى فيـه، فقـد كـان للرسـول ﷺ وال علـى (وادي القرى)، [٢] وكذلك له وال على (تيماء) [٣] [٤]

وكـان الرسـول ﷺ إلى جانـب هـذا يبعـث بعـض أصـحابه

---

(١) ابـن حبيـب، المحـبر، ١٢٧. (عثمـان بـن أبي العـاص) ابـن بشـر الثقفـي، قـدم علـى الرسـول ﷺ مـع وفـد ثقيـف وأسـلم، وأمّـره الرسـول علـيهم، واسـتمر عليهـا حـتى عصـر عمـر حيـث توجـه إلى البصـرة. تـوفي في عصـر معاويـة (ابـن سـعد، الطبقـات، ج٧/٤٠؛ ابـن حجـر، الإصـابة ج٢/٤٦).

(٢) (وادي القُـرَى) وادٍ يقـع بـين المدينـة والشـام، وبـين تيمـاء وخيـبر كـان بـه العديـد مـن القـرى المشـهورة بالنخيـل، ويسـمى الآن وادي العـلاء، ويبعـد ٣٢٢ مـيلاً عـن المدينـة (عـاتق غيـث الـبلادي، معجـم المعـالم الجغرافيـة في السيرة النبوية، ص ٩٣).

(٣) تَيمـاء بلـد صـغير بـين الشـام ووادي القـرى، علـى طريـق الحـج الشـامي، وهـي بلـدة مشـهورة باسمهـا حاليـاً (انظـر: يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج٢/٦٧).

(٤) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

إلى (القبائل) لتعليم الناس أمور الدين، وجمع الصدقات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، كما كان هؤلاء الأمراء مسئولين عن إقامة الصلاة في هذه القبائل، شأنهم في ذلك شأن الولاة في المدن والقرى الأخرى، وكانوا يقومون بالمهام نفسها التي يقوم بها ولاة البلدان من صلاة وقضاء وتعليم وغير ذلك من الاختصاصات التي كانت توكل للولاة عادة.

وقد أرسل الرسول ﷺ ولاته إلى مختلف القبائل في نجد والحجاز وغيرها من بلاد العرب، وكان كثيراً ما يختار الولاة أو المبعوثين لهذه القبائل ممن أسلم من أفراد القبيلة نفسها، فكان لهم دور في التنظيم وإقامة العدل في بلدانهم وقبائلهم.

البحرين:-

تردد ذكر البحرين كجزء من الدولة الإسلامية في أواخر العصر النبوي. وقد بعث الرسول ﷺ مجموعة من الولاة إليها، نظراً لوجود العديد من القرى فيها.[١] وكان أشهر ولاة البحرين خلال العصر النبوي

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٠.

الصحابي الجليل (العلاء بن الحضرمي).(١) وقد بعث معه الرسول ﷺ بعض الصحابة، منهم أبو هريرة رضي الله عنه.(٢) وقد دارت بينه وبين الرسول ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون الولاية.

وكان الرسول ﷺ يبعث بعض أصحابه إلى العلاء ليحضر الجزية المفروضة على المجوس في البحرين إلى المدينة المنورة. وكان من هؤلاء المبعوثين (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه).(٣) واستمر العلاء والياً للبحرين بقية أيام الرسول،(٤) وقد أقره أبو بكر على ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ، كما أقره عمر بعد وفاة أبي بكر (رضي الله عنهما).(٥)

عُمَان:-

---

(١) هو العلاء بن عبد الله بن أكبر بن ربيعة من حضرموت. كان من حلفاء بني أمية وهو من الصحابة المهاجرين، ولي البحرين للرسول ﷺ ثم لأبي بكر ثم لعمر، وتوفي سنة ٢١هـ، (الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٢٦٢، وكذلك العبر ١/١٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٢٦٤.

(٣) ابن سلام، الأموال، ص ٤١.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٣.

(٥) المصدر السابق.

بعث الرسول ﷺ إلى ملكي عمان (جيفر وعباد ابني الجلندي) برسالة مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، فعرض عليهما الإسلام، [١] فأسلما.

وأقر الرسول ﷺ عمرو بن العاص والياً على عمان مع وجود الملكين، وأخذ عمرو في دعوة الناس إلى الإسلام مع القيام بمهمته الرسمية في عمان، وكان له حوار طويل مع أساقفة عمان ورهبانها، الذين أخذوا يسألونه أسئلة كثيرة عن الإسلام.[٢] كما أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الأمراء إلى قرى عمان، وكانت بينهم وبين رسول الله ﷺ مكاتبات.[٣] وقد حدثت ردة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمكن أبو بكر من القضاء عليها بمساعدة جيفر وعباد ابني الجلندي، [٤] ثم استمرت عمان ولاية إسلامية خلال العصور

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ٩٧؛ السهيلي،، الروض الأنف، ج٤/٢٥٠.

(٢) ابن قدامة،، منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٢٤٦م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ورقة ٢١.

(٣) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ١٦٤.

(٤) الطبري، تاريخه، ٣/٢٦١.

الإسلامية، وكان لقبائلها تأثير قوي في الفتوح الإسلامية بعد النبي ﷺ.

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ اهتم بأمر البلدان والقرى التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية، فكان يرسل إليها الولاة والأمراء معلمين وموجهين وناصحين، ويكل إليهم القيام بمهام محددة، منها إقامة الصلاة وتعليم الناس أمر دينهم وجمع الزكاة من الأغنياء وردها على الفقراء، إضافة إلى جمع الجزية من غير المسلمين وإنفاقها في وجوهها الشرعية، أو بعثها للرسول ﷺ في المدينة المنورة.

كما أن بعض هؤلاء الولاة كان يقضي بين الناس كمعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب وغيرهما، إضافة إلى الإجابة على الأسئلة التي كان الناس يلقونها عليهم، ممن يريد أن يتعرف على الإسلام أو من علماء أهل الكتاب، كما حدث لمعاذ بن جبل في اليمن وعمرو بن العاص في عمان.

وقد كان الرسول ﷺ يجمع العمل لشخص معين أو يقسمه بين أشخاص، فهو يجمع الصلاة والصدقات لأمير واحد، وقد يفرقها على أميرين أحياناً، كما كان

يسند القضاء إلى أمير البلد نفسه، أو يرسل معه قاضياً غيره، وكانت هناك اتصالات عديدة بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء الولاة تتعلق بشئون الولاية وعموم أمور المسلمين وأحكامهم الشرعية.

كان بعض الولاة يرسلون ما يجمعون من أموال الصدقة إلى الرسول ﷺ في المدينة، لكي يقسمها في وجوهها الشرعية. وكان الرسول ﷺ يتابع أحوال ولاته ويراسلهم.[١]

كما أن الرسول ﷺ كان يصدر تعليماته المستمرة للولاة على ضوء ما يجد من أحداث، وبما أن الرسول ﷺ كان يحب التفاؤل، فقد كتب لأحد ولاته: (إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)[٢] وكان يكتب إلى ولاته باستمرار ينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة[٣] ويؤكد عليها.

وكان الرسول ﷺ يركز على الولاة بتعليم الناس أمور

(١) انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٢.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص ١٢١.

دينهم والتيسير عليهم، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا)، وقال ﷺ: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين).[(١)]

والرسول ﷺ وضع الأساس للأمة في إدارة البلدان وترتيب أقاليم الدولة المختلفة. ولا شك أن الإدارة العليا تحتاج باستمرار إلى مشاورة الكوادر الأخرى المشاركة في المسؤولية قبل اتخاذ القرارات المصيرية، وقد ساد في الفكر الإداري الحديث أهمية المشاورة قبل اتخاذ قرار إداري محدد وجرت دراسات مختلفة حول أهمية المشاورة ونتائجها بالنسبة للقيادات الإدارية العليا.[(٢)]

كان رسول الله ﷺ وهو قائد الدولة الإسلامية يكثر من مشاورة أصحابه ﭬ، حيث نزلت عليه سورة الشورى لتؤكد هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٣٧؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، ج٥/١٠٨.

(٢) الهواري، الإدارة الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦.

وانظر: عبد العزيز العمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ص ٤٥.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى]. وفي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]. وقد ثبت كثرة مشاورة الرسول ﷺ للصحابة العاملين معه قبل اتخاذ القرارات الهامة، حتى عرف بعض الصحابة أنهم من أهل شورى رسول الله ﷺ.

ولا شك أن معظم المصائب والأخطاء في العالم الإسلامي المعاصر ترجع إلى انفراد أصحاب القرار بالرأي دون الرجوع لأهل الخبرة والمشورة، حيث ابتعدوا عن سنة الرسول ﷺ في هذا الجانب، فكانت قرارات كارثية وإدارات عاجزة ومشاكل كبرى.

العدل والمساواة:-

العدالة مبدأ إسلامي وإنساني مهم، يحكم أمور المسلم في كل أحواله العامة والخاصة وخصوصًا ما يتعلق بالآخرين إذا تولى عملاً للناس وفضيلة سامية تسمو إلى تحقيقها النظم في كل زمان ومكان، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

﴾ [النحل]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء].

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ [الشورى].

كما شدد القرآن في التحذير من الظلم: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ ﴾ [إبراهيم].

والعدل مطلوب مع الجميع حتى مع الأعداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة].

ولا شك أن العدالة ليست خاصة في القضاء فقط، بل هي توجيه عام لكل مسلم، وهي من صميم العمل الإداري، حيث أن المسؤول الإداري ينبغي أن يكون عادلاً مع موظفيه وأن يكون عادلاً مع ذوي العلاقة بالعمل، وأصحاب المصالح المتصلة بعمله، والعدالة مطلوبة من كل إنسان حتى في إدارة عائلته وعمله الخاص، فكيف إذا كان صاحب منصب وعمل متصلاً بعامة الناس أو خاصتهم.

وحين زعم أحد الجُهال أن الرسول ﷺ لم يعدل في قسمة أموال حنين، غضب رسول الله ﷺ لعظم التهمة في نظره ولاتهامه بعدم الإنصاف وهو ﷺ أعدل الناس وأبرهم، وأسوة لجميع العاملين على شؤون الناس وحقوق العباد ﷺ، ولا يقبل الظلم من أحد فكيف يظلم بنفسه حاشاه الله.

وقد كان ﷺ يحذر من الظلم ومن ذلك قوله: ((اتقوا

الظلم فإن الظلم ظلمات)).[١]

كما كان يأمر بتطبيق العدل وإقامة الحدود على الضعيف والقوى، ويحذر من التهاون في ذلك بقوله: ((إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).[٢]

كان رسول الله ﷺ يتولى القضاء بنفسه بين الناس[٣]، يتحرى العدل ويخشى تدليس الخصوم على بعض، ويحذر من الاعتداء على حقوق الآخرين ولو بحكم قضائي، ولذلك ورد أنه ﷺ: ((سمع خصومة أمام باب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج٣/٩٩؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٧٣٣.

(٣) للتوسع حول الموضوع انظر:القرطبي، عبدالله محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله، مطابع قطر الوطنية، الدوحة قطر،(د.ت).

مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)).[١]

وقد كان رسول الله ﷺ يقضي بين الناس كافة ويعمل على أداء الحقوق إلى أهلها سواء كانوا مسلمين أم كفاراً، ويوضح القواعد الأخلاقية للقضاة والخصوم، ويحذر من الكذب في الدعوى، أو اليمين التي تؤدي إلى أخذ الإنسان ما ليس له، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول ﷺ: ((من حلف على يمين وهو فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان)).[٢] وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران]. وقرَنّ قول الزور مع الشرك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج]. كما كانت توجيهاته واضحة في المساواة بين الخصوم، وعدم الحكم بالهوى وأن يكون القضاء بنظام شرعي واضح ومنه: (البينة

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٢٤٥٨.

(٢) من حديث البخاري، كتاب الخصومات، حديث رقم: ٢٤١٦.

على المدعي واليمين على من أنكر).[١] كما أنه قطع الطريق على الدعاوى الباطلة فقال: ((لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم)).[٢] وأكّد على أهمية الشهادة: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق]. واعتبر أداء الشهادة من أسباب العدل.

وطالب القرآن بإقامة العدل دون هوى، حتى لو كان الحق على أعز الناس إلى الإنسان، بل حتى لو على نفسه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء].

وطالب القرآن بالعدل حتى مع الأعداء في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات (باب ما جاء في البينة على المدعي)، ج٣/١٤٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، ج٥/١٣٨.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة]، وورد في الحديث القدسي ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)).[(١)]

وقد جاءت أخلاقيات الإسلام لتضمن العدالة ونزاهة القضاء والعاملين عليه فحذر ﷺ من الحكم بالهوى أو الجهل، كما قال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

وقد حذر رسول الله ﷺ قضاة الجور بقوله: ((القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذاك في النار، وقاضٍ لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق فذاك في الجنة)).[(٢)]

كما حرم الإسلام الرشوة، وهي مما يدفع إلى الظلم

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج١٧/٨.
رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/١٦٠.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، رقم: ١٣٢٢، ج٣/٦١٢.

وغمط الناس حقوقهم، ويؤثر في القضاة والحكام. قال ﷺ: ((لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما)).(١)

وكان القضاء عاماً بين الناس في المجتمع المسلم وطبق في العهد النبوي يدخل فيه المسلم وغيره ومطلب العدل عام مع المسلمين وغيرهم، يقول تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة].

وقد شرع رسول الله ﷺ كل ما من شأنه تنظيم العدل بتعيين القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فقد بعث ﷺ عدداً من الصحابة للقضاء في منازعات الناس، ومن أشهر هؤلاء القضاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث بعثه النبي ﷺ إلى بعض نواحي اليمن قاضياً، ولم يرجع إلا أثناء حجة الوداع. وقد دار حوار بينه وبين النبي ﷺ

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٦٤، وج٥/٢٧٩؛ والترمذي في كتاب الأحكام، حديث رقم: ١٣٣٦، ج٣/٦٢٢؛ وابن ماجة في كتاب الأحكام، والدارمي في الأقضية.

حول أسس القضاء _كما ذكرنا سابقاً_ومن ذلك قول الرسول ﷺ لعلي: ((إذا حضر خصمان بين يديك فلا تقض لأحدهما حتى تسمع كلام الآخر)).[١]

كما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وكان من مهمته القضاء بين الناس وقد حاور ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن فقال: ((بم تحكم؟ قال بكتاب الله وسنة نبيه، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسوله)).[٢]

ولم يبق إقليم تابع لدولة الرسول ﷺ إلا حدد فيه الأمراء ومن يقضي بين الناس ويقيم العدل فيهم ولعل أشهر دستور عالمي في القضاء هو كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء.[٣]

---

(١) الماردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٢) الماردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٣) شرح ابن القيم كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين بما يزيد على(٤٥٠) صفحة (انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١/٨٦ حتى ٤٠٦، ج٢/١ - ١٦٥.

والـذي لا شـك فيـه أن عمـر اسـتقاه مما تعلمـه مـن الـنبي ﷺ في شـؤون القضـاء والعـدل، وقـد جـاء فيـه: (أمـا بعـد فـإن القضـاء فريضـة محكمـة وسـنة متبعـة فـافهم إذا أدلـي إليـك فإنـه لا ينفـع تكلـم بحـق لا نفـاذ لـه، واس بـين النـاس في وجهـك وعـدلك ومجلسـك؛ حتـى لا يطمـع شـريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينـة علـى مـن ادعـى واليمين علـى مـن أنكـر، والصـلح جـائز بـين المسـلمين إلا صـلحاً أحـل حرامـاً أو حـرم حـلالاً. ولا يمنعـك قضـاء قضـيته أمـس فراجعـت اليـوم فيـه عقلـك وهـديت فيـه لرشـدك أن ترجـع إلى الحـق؛ فـإن الحـق قـديم لا يبطلـه شـيء، ومراجعـة الحـق خـير مـن التمـادي في الباطـل، الفهـم الفهـم فيمـا تلجلـج في صـدرك، مـا لـيس في كتـاب الله تعـالى ولا سـنة نبيـه، ثـم اعـرف الأمثـال والأشـباه وقـس الأمـور بنظائرهـا واجعـل لمـن ادعـى حقـاً غائبـاً أو بينـة أمـداً ينتهـي إليـه، فمـن أحضـر بينـة أخـذت لـه حقـه واسـتحلل القضـية عليـه، فـإن ذلـك أنفـى للشـك وأجلـى للعمـى. والمسـلمون عـدول بعضـهم علـى بعـض إلا مجلـوداً في حـد، أو مجربـاً عليـه بشـهادة زور أو ظنينـاً في ولاء أو نسـب، فـإن الله عفـا عـن الأيمـان ودرأ بالبينـات.

وإيــاك والقلــق والضــجر والتــأفف بالخصــوم فــإن الحــق في مــواطن الحــق يعظــم الله بــه الأجــر ويحســن بــه الــذكر والسلام).[١]

ولا شــك أن انتظــام الحيــاة والإســلام في أي مجتمــع إنســاني لا يقــوم إلا علــى نظــام وقــوانين وشــريعة واضــحة يتســاوى أمامهــا الجميــع، مــع وجــود مرجعيــة قضــائية لحفــظ الحقــوق، وقــوة تســاعد في إعــادة الحقــوق إلى أهلــها ومنــع الظلــم وتطبيــق أحكــام القضــاء. وهــذا يــدفع الجميــع للأمــان والوقــوف مــع هــذا النظــام العــادل الضــامن للحقــوق، والمعــين علــى الحيــاة الكريمــة، والإنتــاج الصــحيح بعيــداً عــن ســرقة النــاس، والاعتــداء علــى أمــوالهم أو أعراضــهم أو أنفسهم.

وهكــذا بنــى الرســول ﷺ بتوجيهــات إلهيــة وتطبيقــات نبويــة هــذا المجتمــع المســلم في المدينــة ومــا وقــع تحــت حكمــه وإدارتــه مــن أنحــاء الجزيــرة العربيــة علــى العــدل، وأصــبح هــذا النظــام نبراســاً للــدول الإســلامية ومجتمعاتهــا يزيــد

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١/٨٥ - ٨٦؛
الهواري، الإدارة الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦.

أمانها وإيمانها كلما اقتدت به وسارت على نهجه، وتضيع الحقوق كلما ابتعدت عن طريقه.

وقد ألف العلماء وفقهاء الشريعة في هذا المجال ما يصعب حصره من تراث علمي سياسي إداري قانوني شرعي عدلي،[١] جهله كثير من أبناء الأمة وتجاهله كثير من القادة وأصحاب القرار فضاعوا وأضاعوا.

(١) انظر: محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي.

ترتيب الأمن والسلام:-

الحفاظ على الأمن حاجة إنسانية قائمة، وضرورية وملحة في كل المجتمعات البشرية، وحينما بعث النبي ﷺ، كانت بلاد العرب تعيش حالاً من الفوضى الأمنية، حيث يأكل الضعيف القوى، وتسود الفوضى ويعجز الناس عن السفر وحماية أنفسهم إلا بقوة وأحلاف تتعاون لضبط الأمن، ولم يكن هناك نظام أو شرع وقانون يحمى الناس من اعتداء الآخرين، وجاءت آيات القرآن لتذكر الناس بأهمية الأمن وقرنته بالرزق في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ [قريش] وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٥٥ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ ﴾ [سبأ] وقوله: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٧ ﴾[آلعمران].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم].

كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة]. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام]. وبيّن الله في قصص الأنبياء السابقين أهمية الأمن في حياة الأمم ففي قوم صالح قال: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الشعراء]، وفي عموم القرى والأمم قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل].

وقد كان ﷺ يبشر الصحابة في أكثر من موضع بأن

الأمن سوف يسود بهذا الدين، ومن ذلك قوله لعدي بن حاتم: ((فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها "حتى"تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله)).[١] وقال ﷺ: ((ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه)).[٢]

كان الأمن والسلام بين الناس من أهم أهداف الإسلام، وبالتالي لزم الأمر محاربة الخوف وما يؤدي إليه، ولذلك كان هدف سلطة الدولة التي كان على رأسها رسول الله ﷺ تحقيق الأمن.

وكان القضاء وأدواته وتشريعاته تعمل لتحقيق العدل والأمن والسلام فكان الحفاظ على أرواح الناس: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ

---

(١) الطبري، تاريخه، ج ٣/ ١٥٠؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/٢٣٨.

رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان].

وكان الرسول ﷺ يؤكد في أحاديثه وخطبه على السلام بين الناس على تأمينهم وعدم الاعتداء عليهم. وكان يؤكد في بيعته على ذلك، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله في رهط فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم

فـأجره علـى الله، ومـن أصـاب مـن ذلـك شـيئا فأخـذ بـه في الـدنيا فهـو لـه كفـارة وطهـور، ومـن سـتره الله فـذلك إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له).[1]

وكـان مـن أشـهر مـا قالـه ﷺ في حجـة الـوداع يـوم عرفـة: ((ألا أي شـهر تعلمونـه أعظـم حرمـة؟ قـالوا: ألا شـهرنا هـذا. قـال: ألا أي بلـد تعلمونـه أعظـم حرمـة؟ قـالوا: ألا بلـدنا هـذا. قـال: ألا أي يـوم تعلمونـه أعظـم حرمـة؟ قـالوا: ألا يومنـا هـذا. قـال: فـإن الله تعـالى حـرم علـيكم دمـاءكم، وأمـوالكم، وأعراضـكم، إلا بحقهـا كحرمـة يـومكم هـذا، في بلـدكم هـذا مـن شـهركم هـذا. ألا هـل بلغـت؟ ثلاثـا، كـل ذلـك يجيبونـه: ألا نعـم، قـال ويحكـم أو ويلكـم لا تـرجُعنّ بعـدي كفـاراً يضـرب بعضكم رقاب بعض)).[2]

وقـد أكّـد ﷺ علـى أهميـة الأمـن في حيـاة الإنسـان

---

(١) انظـر: صـحيح البخـاري، كتـاب الحـدود، ج٧/١٨؛ حـديث رقـم: ٦٧٨٤؛ ٦٨٠١.

(٢) مـن روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب الحـدود، حـديث رقـم: ٦٧٨٥؛ ابـن حـزم، المحلـى، كتـاب الحـج، ج٤/٨٤؛ وانظـر: حجـة الـوداع مـن هـذا الكتاب.

بقوله: ((من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)).[١] وقد قال ﷺ: ((لا يحل لمسلم إن يروع مسلماً))، [٢] وكان من دعائه: ((اللهم استر عورتي وآمن روعتي)).[٣]

وقد أدت دولة الإسلام في المدينة دورها في بسط الأمن والسلام بين الناس،[٤] المسلمين وغيرهم، وكان ذلك عماد معاهدة المدينة بين الرسول ﷺ وعموم سكان وقبائل المدينة، هو الدفاع المشترك وبسط السلام فيها وعدم إعانة من يسببون الخوف لأهلها من المُحْدِثين وغيرهم.[٥]

وكان ﷺ يتابع بنفسه أمن المدينة وسلامة أهلها والقادمين إليها، ويقيم الحدود الشرعية على المجرمين الذين يفسدون في الأرض ويريقون الدماء ويخلون بأمن الناس وسلامتهم، كما

---

(١) رواه الترمذي في الزهد، حديث رقم: ٢٣٤٦، ج٤/٥٧٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٢٦٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٥.

(٤) للتوسع حول هذا الموضوع طالع (د. عبدالله التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، ١٤١٧هـ).

(٥) انظر: وثيقة المدينة من هذا الكتاب.

فعل مع العُرنين. وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود)، [١] أورد فيه عدة أبواب، منها باب (إقامة الحدود على الشريف والوضيع) [٢] وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان) [٣] روى فيه عن عائشة (رضي الله عنها): (أن قريشا أهمتهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها يعني رسول الله ﷺ قالوا ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). [٤] وقد أمر القرآن الكريم بقطع يد السارق في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾

---

(١) صحيح البخاري، ج٨/١٣.

(٢) صحيح البخاري، ج٨/١٦.

(٣) صحيح البخاري، ج٨/١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود باب إقامة الحد على الشريف والوضيع، ج٨/١٦.

﴾ [المائدة].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة].(١) وقد طبق الرسول ﷺ حد السرقة على المرأة المخزومية ولم يمنعه شرفها ولا شفاعة أسامة بن زيد وغيره من أشراف مكة في منع تطبيق الحد الشرعي عليها. ويظهر أنه طبق حد السرقة أكثر من مرة في حياته.(٢)

وكان لحد السرقة دور كبير في أمن الناس على أموالهم، وخوف السُراق من إقامة الحد عليهم، حتى خفت السرقة وكادت تنعدم في زمن النبي ﷺ .

ولا شك أن أي بلد ومجتمع في العالم يقيم حد السرقة تقل فيه السرقة، ويأمن الناس على أموالهم. كما أن القتل كانت عقوبته القتل إلا أن يعفو أولياء الدم. وقد جاء الحكم صريحاً في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود باب ١٣، ج٨/١٦.

(٢) انظر صحيح البخاري، ج ٨/ ١٥ - ١٨

يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء].

وكان الأمر واضحاً أن في حد القصاص يمنع الناس من التفكير في القتل وإراقة دماء الناس إذا علموا أن دماءهم مهددة، وأن القصاص من ورائهم إن فعلوا ذلك، وبالتالي فإن في القصاص حماية للدماء وحياة للناس، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة]. وقد عرف حد الحرابة، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة].

وقد حدث أن رسول الله ﷺ أكرم أناساً من الأعراب جاءوه مرضى، وهم رهط من عكل وفدوا على النبي ﷺ، كانوا في الصفة فاجتووا المدينة، فقالوا يا رسول الله: ابغنا رِسْلاً، فقال ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله، فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، فأتى النبي ﷺ الصريخ،

فبعث الطلب في آثارهم فما ترجل النهار حتى أتي بهم، فأمر بمسامير فأُحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم ألقوا في الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا. قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله ورسوله).[١] وقد عرف النبي ﷺ حاجة الناس إلى الأمان وأن لا يراعوا، فأمِن أعداؤه في مكة، حين دخلها فاتحاً، حيث أعلن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.[٢]

كان ﷺ واعياً بأهمية الأمن في حياة الناس، ولذلك كان من أوائل ما ذكر به الناس بعد الفتح تحريم سفك الدماء.[٣] لقد كان الأمن للناس جميعاً في دولة الإسلام، منذ أن ظهرت إلى الوجود في المدينة المنورة، لقد كان الأمن والسلام الشامل أول أهداف دولة الرسول ﷺ منذ قيامها.

إنه الجمع بين منع الجريمة، وإقامة الحدود على المجرم، وحفظ الحقوق، وتنظيم العدل، وإشاعة الأمن، وهذا أهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتبا الحدود، باب سمر النبي ﷺ أعين المحاربين، ج٨/١٩.

(٢) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر سيرة ابن هشام، ج٤/٤١٥.

مطلب إنساني بعد الدين والتوحيد ومعه الرزق، وكلها وردت في إعجاز بين في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش]، إنها التوحيد والرزق والأمن مقترنة في هذا الإعجاز الرباني، ومربوطة ببيت الله وقبلة المسلمين رمزاً للمكان والنظام والدين في وقت واحد.

بناء الآداب والأخلاق الاجتماعية:- (١)

إن المجتمعات البشرية عموماً والمجتمع العربي خصوصاً فسدت أخلاقهم، وأساء بعضهم إلى بعض واحتقر بعضهم بعضا.(٢) وكانت محاولات الرسول ﷺ لتغيير مجتمع مكة من الداخل قوية وجادة، بمحاولته نشر الإسلام وما يرتبط به من شريعة وبناء أدبي وأخلاقي وترابط إنساني، وعلاقات حميمة بين أفراد المجتمع عموماً، بداية بذوي القربى والآباء وأبنائهم في

---

(١) لعل من أجمل ما يطرح حول الموضوع ما جمعه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، من أبواب متفرقة في الأخلاق والصلة والسماحة والتعامل مع الجار والمسكين والأرحام وغير ذلك فيما يزيد على (١٢٨) باباً . انظر: صحيح البخاري، ج٦٨/٧ - ١٢٥.

(٢) للتوسع في هذا الموضوع راجع د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة في ثلاثة أجزاء من إصدار دار الغرب الإسلامي، بيروت طبعة ثانية، ١٤١٩هـ.

تلاحم بين الدين والمجتمع والأخلاق،وقد تعنتت قريش ومنعت الدعوة ووقفت في وجهها، وحاربت رسول الله ﷺ وآذته وأصحابه، مما دفعه للبحث عن مكان آخر لإقامة المجتمع المسلم المميز بأدبه وأخلاقه وتلاحمه، فكانت الهجرة إلى المدينة وبداية بناء المجتمع الإنساني المسلم الآمن،حيث توافد المهاجرون، وتآلفوا وتحالفوا وتآخوا مع الأنصار، ووجد بينهم ما عرف بنظام المواخاة الذي أظهر معادن المجتمع الصافي المتآخي كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

كان بناء التآلف والتآخي لجيل الصحابة ولأجيال الأمة كلها من بعدهم يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر].

لقد كانت تزكية النفس وبناء الأخلاق من صميم دعوة الرسول ﷺ جاءت في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وكذلك قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة].

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

وقد جاءت تشريعات الإسلام المختلفة لتقيم العلاقة الحسنة بين أفراد المجتمع[١]، وبين العائلة الواحدة، فقال ﷺ :((البر حسن الخلق))، [٢] وقال: ((خياركم أحسنكم أخلاقاً)).[٣]

---

(١) انظر: الخولي، محمد عبدالعزيز، الأدب النبوي، عظات بالغة وحكم بالغة، ط١، دار القلم، بيروت ١٤٠٦هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٥٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج٧/٨٢.

وركز الإسلام على تحسين علاقة الأبناء بآبائهم والآباء بأبنائهم، حيث كان الأمر الإلهي ببر الوالدين يعني إصلاح العلاقة بين جيل وآخر، وإشاعة التراحم والتواصل. وقد كان بر الوالدين مقروناً بطاعة الله تعالى كما قال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

كما أكدّ القرآن على ذوى القربى وحسن العلاقة بهم في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء]، كما كان رسول الله ﷺ على أعلى درجات الخلق كما وصفه الله تعالى في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]، وأمر الله سبحانه الناس بالتأسي به في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]. وقد قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).(١)

---

(١) صحححه الألباني، انظر: مسند الإمام أحمد، ج٣٨١/٢؛ وعنده لا تمم

وكان ﷺ متواضعاً يعود المريض، ويتبع الجنازة ويجيب الدعوة ويكره أن يقوم له الناس، يتواضع مع الكبار والصغار، حتى أن الغريب إذا جاء وجده بين أصحابه غير متميز بجلسة. كان جواداً يأمر بالجود، كريماً يأمر بالكرم عفيفاً يأمر بالعفة والاستغناء عن الناس، شجاعاً، حليماً يأمر بالحلم، رفيقاً يأمر بالرفق، طيب الرائحة نظيفاً يأمر بذلك، ويأتي على رأس ذلك كله حسن الأدب مع الله سبحانه وتعالى، ابتداء بالتوحيد والرضا بعبوديته، وحسن الظن به والتوكل عليه، والخوف منه والرضا بما قسم، ورجاء ما عنده، وتقواه وخشيته في الغيب والشهادة، والأنس بذكره وشكره وحسن عبادته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنفال]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة]، وقد قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح]، وهو القائل: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ

صالح الأخلاق.

مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس]، وقد قال ﷺ مذكراً بحسن الأدب مع الله: ((استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعى والبطن وما حوى واذكروا الموت والبلى)).(١)

وقد قال ﷺ: ((فالله أحق أن يستحيا منه من الناس)).(٢)

ومن حسن الأدب مع الله الإنابة إليه، والاستغفار والرجوع والفرار إلى الله، كما قال: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات]، وتذكّر أن النعم منه كما قال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة]، وتذكر كرمه وفضله وإحسانه ومراقبته لخلقه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل]. ومن حسن الأدب مع الله حسن الآداب مع القرآن

---

(١) الإمام أحمد في مسنده، ج١/٣٨٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، ومن تستر فالستر أفضل، ج١/٧٣.

كلام الله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف]. ومن الآداب التي تربت عليها الأمة الإسلامية حسن الأدب مع رسوله ﷺ في حياته وبعد مماته، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجرات].

وقد أمر القرآن أصحاب النبي ﷺ بإتباع أمره وعدم معصيته في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور]، وقال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر]، وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء]، وأكد على حسن الأدب مع الرسول ﷺ وأن لا ينصرفوا عنه إذا كان في أمر جامع إلا بإذنه ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور].

كما أمر الأمة بالسمع والطاعة لرسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ

مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ ﴾ [النور].

كان ﷺ يقول: ((من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأتيه منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده رسوله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)).(١)

كان ﷺ زاهداً في الدنيا ويأمر بذلك، اتصف بأعلى الصفات التي تحث على النظافة واحترام شعور الآخرين في مأكله ومشربه وملبسه وشعره ومظهره، وكان يأمر بإشاعة المحبة والسلام بين الناس، قال ﷺ ((ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة، احاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون)).(٢) كما قال ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا

---

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٠٣

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل الصحابة، ج٤/٢١٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٤/١٩٣.

فعلتمــوه تحــابتم، أفشــوا الســلام بيــنكم)).(١) وكــان ﷺ يسلم على الصبيان إذا مرّ بهم.

وقد أمر الله بالاستئذان وإفشاء السلام كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور]، وأكدّ القرآن في بنائه الأخلاقي للمجتمع على التواضع والسلام مع الناس في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ [الفرقان]. وقوله: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ ﴾ [الإسراء]. ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ [لقمان].

كما كان ﷺ يأمر بالرفق وهو من أسباب الألفة في الأسرة والمجتمع فقال: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))،(٢) كما

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، ج١/٥٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨.

قال: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه)).[١] وقد طبق الرسول ﷺ الرفق واللين مع الصحابة كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران]، ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة]، ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر]، ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء].

كان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة (رضي الله عنها)، وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الدهر)،[٢] وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: (إن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل الرفق، ج٨/٢٢؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٥٨، ١١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله

مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء).(١) ولما دخل ﷺ مكة فاتحاً كان متواضعاً مطأطأً رأسه بلا فخر ولا خيلاء.(٢) وكان يقف مع المرأة الضعيفة والصبي يسمع إليهم ويحدثهم ويقضي حوائجهم.(٣) ولعل حديث أنس رضي الله عنه يشرح ذلك في قوله: (كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، قال وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه أكاف من ليف).،(٤) وكان لا يأنف أن يُردف معه رجلاً آخر أو صبياً، فكان كثيراً ما يردف أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) ويردف بعض نسائه أحياناً.(٥) وقد قال ﷺ: ((إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد)).(٦)

ﷺ وهو الحديث الثالث عند البخاري في صحيحه، (٣/١).

(١) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ج ١ / ٧٧

(٢) انظر: فتح مكة من هذا الكتاب

(٣) انظر: صحيح مسلم، باب قرب النبي ﷺ من الناس

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب، (٣٢) ، حديث رقم: ١٠١٧، ج٣/٣٣٧.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل جعلني الله فداك، ج٧/١١٦.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه، باب الحياء، حديث رقم : ٤١٧٩،

ويعمل ﷺ مع أصحابه في السفر فيحتطب ويقوم بجزء من العمل كغيره من الناس. وقد شارك في بناء مسجده، كما شارك أهله في أعمالهم المنزلية: ((يكون في مهنة أهله)).،(١) وقد اعتاد على الحياء ﷺ ووصفه الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

وكان يدعو إلى الاعتدال في التوفيق بين الدنيا والآخرة، وأن لا تكون الدنيا وزينتها هم الإنسان الأول ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ

ج٢/١٣٩٩.

(١) من حديث عائشة (رضي الله عنها) عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ج٧/٨٣.

وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران]. وقوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف]. ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص]. وقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

لقد كان ﷺ حريصاً على معرفة الصحابة لحبه لهم، ولذلك حدّث معاذ بن جبل يوماً وقال: ((يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعنّي

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))،[١] قال ﷺ: (إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه)، [٢] كما كان يحث على كل ما يشيع المحبة بين الناس، كالزيارة والهدية،[٣] والابتسامة التي قال عنها: ((وتبسمك في وجه أخيك صدقة))،[٤] وعلمهم أن يحيي بعضهم بعضاً بالأفضل ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء]. وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام من الإسلام،[٥] كما وضع في صحيحه في كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ووضع الترمذي في صحيحه، باب ما ذكر في فضل السلام.[٦]

---

(١) انظر : مسند الإمام أحمد، ج٥/٢٤٥.

(٢) روه الإمام أحمد في مسنده، ج٤/٣٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر، ص : ٣٤؛ ما جاء في قبول الهدية والإثابة عليها، حديث رقم : ١٩٥٣، ج٤/٣٣٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر، ص : ٣٦؛ وما جاء في صنائع المعروف من الحديث، رقم : ١٩٥٦، ج٤/٣٤٠.

جمع عبدالله نجيب سالم مرويات التبسم في السيرة النبوية في كتاب سماه" ابتسامات نبوية"، دار اقرأ الدولية، ط١، القاهرة ١٤٢٧هـ.

(٥) انظر: صحيح البخاري، باب ج٧/١٢٨.

(٦) صحيح البخاري، ج١/١٢؛ صحيح مسلم، ج٧/٢؛ وانظر: كتاب الاستئذان، ج٥/٥٢.

كما منع القرآن الكريم تميّز الناس بعضهم على بعض، وذكرهم بأصلهم الواحد وحرّم أن يسخر بعضهم من بعض في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات]، وأكّد على أخوة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ [الحجرات]. وأوجب الإصلاح بينهم في حال النزاع والوقوف ضد الباغي والاستمرار في الإصلاح في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾[الحجرات].

كما نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة،[١] وعن احتقار بعضهم بعضاً: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))،[٢] كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [القمان]، وأمر الله بالعفو والصفح عن الناس في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى].

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الغيبة، ج٤/٣٢٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر، باب (١٨)، ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، حديث رقم: ١٩٢٧، ج٤/٣٢٥؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٣/٤٩١.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران].

كل هذه المساواة وتقدير الآخرين والإصلاح بين المتنازعين من أجل بناء مجتمع إسلامي أخلاقي متحد ومترابط ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء].

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالرحمة وأوصى بها، وأمر الناس بالتواصي بها، وقد قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد].

كما قال ﷺ : ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء)).(١)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ٣٣، قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ج٢/٨١.

وقال: ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).[١]
وأكّد على التراحم العام بين المسلمين وأن يسود المجتمع: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).[٢]

وقد كانت الصلاة أهم العبادات عند رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كان يتجوز فيها رحمة بالأطفال، فقد روى البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)).[٣]

وكان ﷺ رحيماً بالرقيق والموالي، جعل عتقهم من أعظم القربات، ومن أبواب الكفارات المختلفة، وضيق الإسلام أبواب الرق بعد أن كانت مفتوحة في كل الشرائع والنظم زمن النبي ﷺ وأوصى بهم ﷺ خيراً بقوله: ((إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما

---

(١) من حديث رواه الترمذي، كتاب البر، باب (١٦)، ج٤/٣٢٤.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة المسلمين، تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ج٨/٢٠.
(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب (٦٥)، من أخف الصلاة، (١/١٧٢)؛ ورواه الإمام أحمد هفي مسنده، ج٣/٢٠٥.

يطعم وليلبسه مما يلبس،ولا تكلفوهم من الأعمال مالا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي، ولكن ليقل فتاي وفتاتي)).[(١)]

إن هـذا التراحـم والآداب الإنسـانية لم تقـف عنـد المسلم والإنسان فقط، بل تعدتها تشريعات الإسلام إلى الحيوان ورحمته وإطعامه وعدم تعذيبه وقتله بلا رحمة وبلا فائدة، فكما قال ﷺ: ((في كل ذات كبد أجر)).[(٢)] وقال: ((من لا يرحم لا يُرحم))[(٣)] وقد قال ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)).[(٤)] وقد قال ﷺ:

---

(١) أحمد بن حنبل في المسند، ج٢/٢٤٧؛ ورواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج١/١٣.

(٢) من رواة البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقى الماء، ج٣/٧٧.

(٣) حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة، انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٥؛ وانظر صحيح مسلم، حديث رقم: ٤٢٨٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، ج٣/٧٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، ج٨/٣٥.

((لعن الله من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً)).(١)

كـل هـذه التعليمـات في حقـوق الحيـوان سـبق الإسـلام بهـا العـالم الحـديث بقـرون متعـددة وهـي مـن رحمـة الله الـتي شـرعها لعبـادة المـؤمنين به، المقتـدين بهديـه، ليكونـوا رحمة لكل كائن حي، فما بالك بالإنسان.

وقد أكّد الإسلام على مساعدة الناس والوقوف مع المحتاجين منهم، ومنع الأذى عن بقية الناس رجالاً ونساءاً فقال تعالى في آيات متصلة ببعضها: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور].

وأكّد القرآن على حسن التعامل مع الجار والإحسان إليه،(٢)

---

(١) رواه الإمـام أحمـد في المسـند، ج١/٢١٦؛ ورواه مسـلم في صـحيحه، كتاب العيد، باب النهي عن صبر البهائم، ج٦/٧٣.

(٢) وضـع البخـاري في صـحيحه، بـاب الوصـاة بالجـار، ج٧/٧٨، وهـو حديث متفق عليه.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء]. كما قال ﷺ : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)).[١] وقال ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)).[٢] كما قال ﷺ: ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن فقيل من هو يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)).[٣] ولم يتوقف الأمر على المسلمين بل تعداه إلى غيرهم في أمر واضح وصريح في حسن التعامل معهم إن كانوا مسالمين في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ج٧/٧٨، والحديث متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب الوصاة بالجار، ج٧/٧٨، والحديث متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب أثم من لا يأمن جارة بوائقه، ج٧/٧٨؛ وهو حديث متفق عليه.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة].

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى الأسرى المقاتلين من الأعداء في قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان].

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى أسرى بدر وغيرها من المشركين، فكان المسلمون يطعمونهم مما يأكلون ويحسنون التعامل معهم مما أثر فيهم ودفعهم إلى الإسلام بعد ذلك.(١)

ومن أروع الأخلاق التي بنيت عليها الأمة السخاء والعطاء،(٢) وقد عرف العطاء في الأمة في كافة المجالات، ومن ذلك العطاء المالي سواء من خلال الزكاة أم الصدقات التي قرنت مع الصلاة في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾ [المعارج]، وفي قوله

---

(١) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٧/٨١.

تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة]، وفي الحديث الشريف قال ﷺ: ((إن الله جواد يحب الجُود)).[١] وفي سبيل إبعاد الضغناء والتحاسد والبعد عن القتال لأجل المال قال ﷺ: ((اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)).[٢]

إن هذا التوجيه الكريم لبناء الأمة ومجتمعها على الجود والعطاء كان يمارسه ﷺ من خلال حياته وسيرته،

---

(١) من رواية الترمذي في صحيحه، كتاب الأدب، حديث رقم: ٢٧٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج١٨/٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج١٦٠/٢.

حتى عرف بأنه أكرم من على وجه الأرض، وكان يحث على الصدقة ولو بالقليل: ((اتقوا النار ولو وبشق تمرة)).[(١)] وقد كان المسلمون في زمانه يتنافسون في الصدقة والإنفاق على المحتاجين من المسلمين، وتجهيز جيوشهم وإكرام ضيوفه ﷺ، ويأتي في مقدمة هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جهز جيش العسرة.[(٢)]

كما كان الوفاء بالعهد من أهم أخلاق النبي ﷺ والمسلمون عموماً طبقها الرسول في حياته مع أصدقائه ومع أعدائه ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ج٢/١١٤.

(٢) انظر: غزوة تبوك.

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة].

وقد كان الرسول ﷺ يوادع ويعاهد عدداً من القبائل حول المدينة ويفي لهم بعهدهم، كما عاهد بعض يهود عند وصوله إلى المدينة ووفي لهم حتى خان بعضهم، وقد عاهد قريشاً في صلح الحديبية ووفى بعهده معهم، وإن كان في ظاهره ظلم لبعض المستضعفين من المسلمين، كما حدث عندما جاءه أحد مستضعفي المسلمين، وقد فرّ من قريش فقال: يا رسول الله إني والله لا أرجع أليهم أبداً فقال ﷺ: إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد، ولكن أرجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع))،(1) وحينما تحدث الخيانة من الطرف الآخر فقد شرع الإسلام نبذ العهد والإعلان عن ذلك صراحة لا خيانة كما يفعلون، فقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال].

وأمر بإتمام العهد ولم ينقضه وأن يتم مدته، وقد جاء في سورة التوبة: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ

(١) رواه أبو داود في سننه حديث رقم: ٢٧٥٨.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [التوبة].

كما كان أداء الأمانة من أساسيات الأخلاق التي بني عليها الإسلام ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب]، وكان ﷺ مضرب المثل في قريش قبل البعثة وبعدها حتى أنهم كانوا يسمونه الصادق الأمين، وكان الصدق سلوكه وخلقه وصفه الله به في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر].

وكان ﷺ يحث على الصدق ويأمر به ويربي الناس عليه فقال: ((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق،

حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً))،[١] كما حذر ﷺ: ((آية المنافق ثلاث، إذا حدثّ كذبّ، وإذا وعد أخلف، وإذا أتُمن خان)).[٢]

أما في مجال الأخلاق الاجتماعية الأسرية، فقد اعتنى الإسلام ببنائها آخذاً في الاعتبار احتمالات الخلاف، وتشابك العلاقات، ولذلك جاءت الشريعة وتطبيقاتها في مجال الأحوال الشخصية والشرائع الأسرية بما في ذلك علاقات الزواج والطلاق وما يصحبها من مُشاحة، ونفقة ومتاع وحضانة وتربية ورعاية ومسؤولية، وجعل هناك حقوقاً واضحة وحدوداً مرعية من كل جانب، لا يظلم أحد أحداً، ولا يعتدي أحداً على حق أحدٍ.

وحذر المسلمين من تعدي تلك الأنظمة والقوانين الإلهية. ولعل ما ورد في سورة البقرة من تلك الأحكام والحدود يبين

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر ولصلة، باب قبح الكذب، ج٨/٢٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١/١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب آية المنافق ثلاث، ج١/٥٦.

دقة التنظيم لهذه الجوانب ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ
قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ
يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ
إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ
بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن
يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ
ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ
تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم

بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ
ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞
وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ
ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ
نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ
وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا
تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ
بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ
أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا
تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ
عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ
﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ
لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن

تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة].

وقد جاءت قواعد أخرى مختلفة حول ما يرتبط بالزواج ابتداءً من الخطبة إلى الفراق وأمر الأزواج بحسن المعاشرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء]، وسميت سورة بالنساء لترفع من مكانتهن في نظر المجتمع، كما جعلت الشريعة المرأة ممثلة في الأم أغلى الناس وأحقهم بالبر لدى الإنسان، وجعلت الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة والسكن وهو أعظم معنى من الحب: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم]. وأُمر الزوج بممازحة أهله ومداعبة

زوجته، والتحبب إليها، وأُمرت المرأة بطاعة زوجها[١]، وقد جاءت الأحكام الشرعية لتحريم العلاقة الجنسية، وما يؤدي إليها خارج إطار الزوجية، لما في ذلك من تجنٍّ على المواليد لغير آباء ومن إضعاف رباط الزوجية، وإفساد النساء على أزواجهن والرجال على زوجاتهم، إضافة إلى الأمراض الجسدية، واعتبر الزنا من الكبائر، بل وأمر الإنسان رجلاً أو امرأة بغض البصر، وأن لا ينظر إلا إلى من أحّل الله له من الزوجات والمحارم.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

---

(١) الكمداني، فن تعامل النبي ص في الحياة الزوجية ص٦٠.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وهذه الآيات جامعة في السلوكيات والأخلاق التي تجعل الرجل لا ينظر إلا إلى أهله، والزوجة كذلك، ولا يكون النظر للآخرين ليبعد الإنسان عن أي سبب يؤدي إلى علاقة محرمة، فهي وقائية أولاً وعلاج مسبق لإيجاد الثقة بين الأزواج، وفي الوقت الذي بني فيه الرسول ﷺ المجتمع المسلم على أفضل الأخلاق فإنه حذر من الأخلاق السيئة، ومنها ظلم الناس في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ: ((اتق دعوة المظلم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))،(١) كما حذر من الحسد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء]، كما حذر من الغش فقال: ((من غشنا فليس منّا))،(٢) وحذر ﷺ من الرياء كما جاء

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب اتقاء دعوة المظلوم، ج٣/٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا، ج١/٦٩.

في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون].

وحذر ﷺ من الرياء فقال: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: الرياء)).(١) كما نهى عن الغرور والعُجب بالنفس وهو من أقوى المهلكات، كما قال ﷺ: ((ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))،(٢) وقد أمر ﷺ أن لا يغتر الإنسان بماله أو عبادته أو قوته أو شرفه أو عمله، وقد أمر ﷺ ألاَّ يغتر بشيء من ذلك كما قال ﷺ: (لن ينجي أحداً منكم علمه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)).(٣)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، ج٥/٤٢٨.

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم ص ١٧٠؛ وانظر : ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ص ٢٣٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل الجنة بعمله، ج٨/١٣٩.

كما كان ﷺ يكره الكسل ويتعوذ منه في قوله: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل)).[1]

ولعل من أهم ما قدمه الإسلام للمجتمعات البشرية العناية بالوقت وترتيبه، والتفريق بين عمل النهار وسكون الليل، واستغلال الأوقات فيما ينفع، وعدم إضاعة الوقت في ما لا فائدة منه. وفي تقسيم أوقات الصلاة وتحديدها بدقة تظهر عناية الإسلام بالوقت ،الذي هو حياة الإنسان ومادتها، في توزيع دقيق ليومه وما يرتبط به من عبادة وعمل، وما يحتاج من راحة. وحق الإنسان على نفسه في هذا الترتيب هو كحق الله على الإنسان في العناية بالعبادات وتنظيم أوقاتها.

ومن الواضح لكل ذي لب عاقل أن هذه التشريعات والتطبيقات الأخلاقية في عصر الرسول ﷺ ومن خلال سيرته ساهمت في ترابط المجتمع وتلاحمه، ومحبته للرسول ﷺ ولما شرعه الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، ج٨/١٣٩.

ولم يقف تأثيرها عند ذلك العصر، بل امتدت بركتها في الأمة والإنسانية حتى يومنا الحاضر.

البناء العسكري:- (١)

بدأ الرسول ﷺ دعوته في مكة وجهر بها بعدما يقارب الثلاث سنوات من البعثة، وناله من قريش أذى كثيراً، كما نال أصحابه أشد العذاب حتى قتل بعضهم من شدة العذاب من أمثال عمار وسمية.

وكان الرسول ﷺ يواسيهم ويدعو لهم ويأمرهم بالصبر ويعدهم بالنصر والتمكين، ويمنعهم من القتال.

وبعد إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب عزّ المسلمون، ومع ذلك لم يؤمروا بقتال، ولم يتوقف الأذى عن المسلمين عموماً وعن الرسول ﷺ خصوصاً، حتى أن قريشاً حاولت قتله ليلة الهجرة فنجاه الله منهم.

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ومن معه من

(١) ألفت العديد من الكتب عن الجوانب العسكرية في حياة الرسول ﷺ منها: محمود شيت خطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن؛ والرسول القائد، ومحمد فتح الله كولن، الرسول قائداً، ومحمد ظاهر وتر، فن الحرب في عهد الرسول ﷺ. وغيرها كثير مما يصعب حصره.

المهـــاجرين وانضـــمامهم إلى الأنصـــار في دار الهجـــرة أصـبحوا ذوي عـدد وقـوة، ومـع ذلـك فـإنهم لم يـؤمروا بقتـال في المرحلـة الأولى، مـع أن الجميـع كـانوا مسـتعدين لمـا يـأمر بـه الرسـول ﷺ، جـاء ذلـك علـى لسـان الأنصـار حينمـا بـايعوا الرسـول ﷺ بيعـة العقبـة الثانيـة، وقـالوا: ((والـذي بعثـك إن شـئت لنمـيلن علـى أهـل منـى غـداً بأسـيافنا فأجـاب ﷺ: لم نـؤمر بـذلك ولكـن ارجعـوا إلى رحالكم)).(١)

كان معظم المهاجرين والأنصار من شجعان الرجال المحاربين للقتال المتمرنين عليه، وتزايدت أعدادهم وقويت شوكتهم وكانوا على استعداد للقتال بأمر رسول الله ﷺ، وجاءت الآيات القرآنية تأذن لهم بالقتال لرفع الظلم عن أنفسهم، ولتطلق تلك القدرات لدى الصحابة مع الاستمرار بعد ذلك في تنمية تلك القوة الناشئة فنزل قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٤٨،
انظر : بيعة العقبة الثانية من هذا الكتاب .

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

ونزلت بعد ذلك سورة الأنفال التي عرفت بسورة القتال، وفيها تشريعات عظيمة جهادية وتتابعت الآيات بعد ذلك لتنمية القوة وإعدادها لدى المسلمين ومن ذلك: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال].

وأكدَّت الآيات حسن مصير الشهداء عند الله في قوله تعالى:
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ
رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[آل عمران].

كما أكدَّت آيات أخرى على أهمية الجهاد دون اعتداء: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة].

وتوالت التشريعات في مجال قتال المشركين والكفار طوال حياة الرسول ﷺ ونالت أحكام الجهاد مكانتها عند علماء الشريعة حتى أُلفت في ذلك كتباً وأبواباً خاصة وفقه للجهاد.(١)

وقد كان تكوين الجيش زمن الرسول ﷺ بسيطاً، منظماً قوياً، بتسليح وتجهيز ذاتي من الأفراد في الغالب، وقد اعتمد الرسول ﷺ على أرقى الأساليب في إعداد قواته وجيشه، ومن ذلك استمرار التدريب والعمل الجاد للصحابة من خلال السرايا التي كان يبعثها من

---

(١) انظر: كوركيس عواد، مصادر التراث العسكري عن العرب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٢هـ، ٣ مجلدات

المدينة. وكان رجالها يقومون بأعمال عسكرية محددة الأهداف والطرق والقادة، بعضها للمناورة، وبعضها للقتال، وبعضها لاعتراض الأعداء وقطع الإمدادات عنهم. وكلها على اختلاف وجهاتها مع تحقيقها لأهدافها الخاصة ساهمت في تدريب وتطوير القدرات العسكرية لأصحاب النبي ﷺ، وزادت من قدراتهم القتالية والقيادية وتحملهم الشدائد واستعدادهم للتضحية والشهادة.

وقاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها ضد المشركين وحلفائهم، حتى فتح الله مكة، وضد يهود حتى أخرجوهم بعد خيانتهم من المدينة، وفتحوا خيبر. وبدأ المسلمون الانطلاق خارج الجزيرة العربية في معركة مؤتة، وفي غزوة تبوك، التي أثبتت تنامي القوة العسكرية تدريجياً في حياة الرسول ﷺ حتى غيرت مجري التاريخ الإنساني، بانطلاقتها في الفتوح الكبرى على يد الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول ﷺ، بقيادة أصحابه وجنودهم الذين تولى ﷺ تدريبهم وتربيتهم ليحقق الله فيهم ما وعد في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ

لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور]، وقد طبقوا ما قال الله لهم ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة] كما نفذوا ما أمروا به في قوله: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة].

ويمكن تلخيص أهم ملامح النظام العسكري لدولة الرسول ﷺ في نقاط منها:

- أن الرسول ﷺ كان يقود الجيوش بنفسه ويشاركهم الجهاد والتضحية، وأنه أصيب في بدنه، وجاهد بنفسه وتعرض للخطر كغيره من الجنود، كان يتعب معهم، ويواسيهم ويداوي جراحهم، لا يتكبر ولا يتجبر، بسيطاً في تعامله رحيماً بجنده.

- كان ﷺ يختار الأكفاء في القيادة العسكرية للمهمات العسكرية، وإن كان فيهم من هم أقدم إسلاماً أو أكبر سناً، كان يؤمّر الرجل على القوم وفيهم

من هو خير منه، لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب.(١)

- كان ﷺ لا يجبر أحد من المسلمين على الانضمام إلى الجيش، ولا يُكره على ذلك، مع أنه كان يحبب لهم الجهاد بالمال والنفس، ويضرب لهم الأسوة بنفسه، ويذكرهم بموعود الله للمجاهدين عموماً وللشهداء خصوصاً فكان جند الرسول ﷺ أعلى جنود الأرض معنوية واسماهم أهدافاً وأكثرهم رحمة بالخلق، وحماساً في أداء الواجب.

- كان جميع جنود الرسول ﷺ من المتطوعة، الذين يؤمنون بالجهاد معه، ولا ينتظرون مقابل ذلك راتباً أو أجراً دنيوياً، وكانوا مسئولين عن إعداد أنفسهم بالسلاح والتموين اللازم للرحلات العسكرية والسرايا والغزوات الجهادية، باحثين عن رضا الله ورسوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾ [الصف]. كانوا يكلَّفون بمهامهم كل حسب قدرته، منهم الفارس والراجل، ومنهم الرامي وحامل الراية، ومنهم

(١) انظر: ما سطره ابن تيمية في كتابه الرائع (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) تحت عنوان: اختيار الأمثل فالأمثل، ص ٢٥.

المسؤول عن الاستطلاع، ومنهم المسؤول عن السقاية، ومنهم الراعي، يكمل بعضهم بعضاً،الكل مجتهد في قتال أعداء الإسلام، مستعد للتضحية في سبيل الله وطلب رضاه، واعتبر الفرار أو التولي يوم الزحف من الكبائر العظيمة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال].

ومع أن التمويل المادي للجند ذاتياً في الغالب فقد رَغَّب الله سبحانه وتعالى في النفقة على المجاهدين وبذل المال مع النفس في هذا الأمر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف]. ولذلك عرف عدد من الصحابة بكثرة نفقاتهم على المجاهدين في سبيل الله وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة تبوك،[١] وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه الذي سماه الرسول ﷺ بطلحة الجود لتبرعه الكثير في إحدى الغزوات. وقد شاركت النساء مع الرجال في الإعداد المالي والتموين وفي السقاية ومداواة

(١) انظر: غزو تبوك من هذا الكتاب .

الجرحى.[١]

ما يصيبه المسلمون من أموال الأعداء له طريقته ونظامه في التقسيم، فمنه الغنيمة وهي: (ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة)،[٢] وكذلك عرف الفيء وهو: (ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب).[٣]

وقد كانت الشريعة واضحة في تقسيم ما يصيبه المسلمون من الأعداء، فالغنيمة يعطى منها المقاتلون، ويبدأ بمن قتل قتيلاً فله سلبه،[٤] ثم يؤخذ بعد ذلك الخمس لله وللرسول يضعه رسول الله ﷺ، حيث يشاء لمصلحة الأمة فيما يراه، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) عبد العزيز السلومي، ديوان الجند ص ٣٧٣

(٢) يحي بن آدم، الخراج ص ١٧

(٣) يحي بن آدم، الخراج ص ١٧

(٤) انظر : صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الوقعة، ج٤/٥١؛ وباب "من لم يخمس الأسلاب" و"من قتل قتيلاً فله سلبه"، ج٤/٥٧.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال].

وأما الفيء وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر].

الخراج في عصر عمر ومن بعده عمل به عمل الفيء أي قُسِّمَ على مصالح الأمة تحت نظر الخليفة، بعدل ونظام يعم المسلمين ومصالحهم، بعيداً عن مصالح الخلفاء الخاصة، عملاً بسنة رسول الله ﷺ، كما حصل في أموال بني النضير بعد أن غنمها رسول الله ﷺ،[١] وقد ألفت كتب في هذه الأحكام التي سارت عليها الأمة في زمن الراشدين ومن جاء بعدهم.[٢]

اهتم الرسول ﷺ بالسلاح والتدريب عليه، فقد كان يقتنيه ويستعمله، فقد استعمل السيف والرمح ورمى بالقوس ولبس الدرع والمغفر وقال: ((إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)).[٣] وحثّ الرسول ﷺ على صناعتها فقال: ((إن الله عزّ وجل يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والممد به، والرامي به)).[٤] كما قال ﷺ: ((تعاهدوا قرنكم فلا

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢ / ١٨٤٥/١٨٤٦.

(٢) انظر: أبو يوسف كتاب الخراج، ويحي بن آدم، كتاب الخراج، وابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، و الماوردي، الأحكام السلطانية.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٢ / ٥٦

(٤) الدارمي، في سننه ج ٢ / ٢٤

تزال مملوءة نبلاً أبدا)).(١)

وتصنيع السلاح(٢) وإعداده جزء من أعداد القوة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]. وكان بعض صغار الصحابة يبرون النبال ويُعدونها، فإذا قيل لأحدهم أبن كم كنت؟ قال: كنت أبرئ النبل وأُريشها.(٣) وكان بعض الصحابة يصنع النبال فيأتي بها المسجد للتصدق بها.(٤) وبعض الصحابة يقتني عدداً كبيراً من السلاح لحاجته ولحاجة الآخرين في الغزوات فيعيرها لهم.

وقد عمل الرسول ﷺ على صناعة دبابة لمهاجمة أسوار الطائف أثناء حصارها،(٥) كما عمل ﷺ منجنيقاً

(١) انظر السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام ورقة ٥٣.
(٢) انظر: عبد العزيز العمري، الحرف ولصناعات في الحجاز في العصر النبوي، (تصنيع السلام)، ص ٢٠٧.
(٣) الطبري، تاريخه ج ٣ / ١٨٧
(٤) السخاوي، القول التام ورقة ٩٣.
(٥) عبد الحي الكناني، التراتيب الإدارية ج ١/ ٣٧٤.

أثناء حصار الطائف رماهم به.[(١)]

كان أصحاب النبي ﷺ يمارسون التدريب على السلاح باستمرار بناءاً على توجيهه ﷺ وكان يشهد ذلك معهم وخصوصاً الرمي، حتى أنهم كانوا في بعض الأيام يترامون عامة اليوم.[(٢)]

وقد بيّن أهمية التدريب فقال: ((كل شيء يلهو له الرجل إلا رمي الرجل بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وقال من ترك الرمي بعد ما علِمّه فقد كفر الذي عُلمّه))[(٣)] كما اتضح من أدلة عديدة تدرب الصحابة على الرمي وركوب الخيل ومسابقتهم به أمام رسول الله ﷺ، [(٤)] حتى عرف مكان سباقهم في المدينة بالسبق وعرف مسجد في المنطقة بمسجد السبق.[(٥)]

---

(١) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين ص ٤٧٠.

(٢) السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام، ورقة ٨٢؛ د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ص ٢١٨.

(٣) الدارمي، سننه ج٢/ ٢٠٥، والترمذي سننه ج٤/ ١٧٤؛ وابن القيم، الفروسية، ص ٢٠.

(٤) انظر: ابن القيم، الفروسية ص٥

(٥) انظر: عبد العزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة،

ويمكننا القول إن التنظيم العسكري وما يرتبط به من استعدادات وجيوش وسلاح في العصر النبوي شمل الهندسة العسكرية وما يتبعها من إعداد خاص سواء كان المباني العسكرية أو التحصينات المختلفة.

فقد كان في المدينة عدداً من الحصون التابعة للأنصار كان لها دورها في حماية النساء و الذراري وغير والمقاتلين في الغزوات التي استهدفت المدينة، مثل حصن فارع[١] وغيره وكانت المدينة تفتقد إلى سور عام يحميها من الأعداء زمن الرسول ﷺ ولذلك اعتمدت على الحصون والآطام، وقد وجدت حصون كثر عند يهود المدينة، الذين دخل الرسول ﷺ في حرب معهم، ونصره الله عليهم، رغم حصونهم القوية فقد نصر الله نبيه عليهم ومكنه منهم يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ

ج١/١٦٠.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٢٨؛ والفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣٩؛ وانظر: إلى هذه الآطام مفصلة في كتاب أحمد بن عبد الحميد العباسي، عمدة الأخبار، ص ٢٣٢ ــ ٤٣٧؛ وما كتبه الدكتور عبد العزيز كعكي في موسوعته الرائعة عن معالم المدينة المنورة في العمارة والتاريخ، الجزء لثالث الأسوار والأبواب والقلاع والأبراج، م١/١٧٥

يَحْتَسِبُوا۟ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر]. وفي قوله تعالى عن بني قريظة: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

كما وجدت حصون أخرى لدى يهود خيبر فتحها الرسول ﷺ الواحد تلو الآخر،[1] كما وجدت حصون أخرى في وادي القرى وتيماء عالج الرسول ﷺ أهلها حتى أسلموا له.[2]

وحينما غزت قريش ومن معها من الأحزاب المدينة المنورة سبقهم الرسول ﷺ بعمل الخندق المشهور حولها، حيث أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بذلك، فقام ﷺ بنفسه بدراسة جغرافية المكان وحدد نقاطاً يتم الحفر بينها لوضع حزام من الخندق المحفور حول المدينة، يمنع دخول الأعداء من الأحزاب. وقد قام الرسول ﷺ بتقسيم العمل على فرق محددة من الصحابة وحفر

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٣ / ٣٣٧ و الواقدي، المغازي ج ٢/ ٦٧٠

(٢) انظر: د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ص ١٩٠

الرســول ﷺ بنفسه معهم حتى علاه الغبار كغيره من أصحابه، وكان من أشدهم عملاً. وكان ينشد معهم أثناء الحفر، وكان الخندق كافياً لمنع هؤلاء الغزاة من دخول المدينة، وتحصيناً سريع الإنجاز عظيم الفائدة لا يقل عن بناء الأسوار الذي يحتاج جهد ووقت أكبر.(١)

(١) انظر: غزوة الأحزاب من هذا الكتاب.
وانظر: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في العصر النبوي ص ١٩١

دولة الرسول ﷺ والسلام العالمي:-

قامت دولة الرسول ﷺ على السلام لمن هم تحت لوائها، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين، ضمنت لهم العدل والأمان وحماية دين الله من المعتدين. وقد توسعت بالتدرج حتى شملت بلاد العرب قاطبة وامتدت لعلاقات خارجية سواء ما كان مع القبائل العربية أو مع الدول المجاورة.

وكان ﷺ منذ بعثته وقبل ذلك يدرك القوى العالمية المجاورة وحتمية الاحتكاك بالدول والمجتمعات والقبائل التي تعارضه، ولذلك فإن اختياره الحبشة لهجرة أصحابه كان عن دراية تامة بأهلها ونظامها وملكها، ولذلك طلب ﷺ من أصحابه الهجرة إليها وأفادهم: ((إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد)).[١] وثبت ما قال ﷺ كما عرض نفسه على القبائل المختلفة قبل الهجرة، سواء في مكة أثناء موسم الحج أم في الأسواق والمواسم في بلاد العرب.[٢] وهذا تأكيد للعلاقة الخارجية، وبعد

(١) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب .

(٢) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل.

الهجـرة كاتـب ﷺ ملـوك وقـادة وزعمـاء الـدول والقبائـل بمـا في ذلـك كسـرى فـارس وقيصـر الـروم[(١)] أعظـم دولـتين في العـــالم حينهـــا. وكانـــت رســـائله ﷺ واضـــحة في تبليـــغ الرسـالة والسـلام لمـن سـالم مصـدراً ذلـك في كـل كتبـه: "بالســلام علــى مــن اتبــع الهــدى"، حيــث كانــت كلمــة الســلام هــي الأولى مــن ألفاظــه، وكــان يخــبر ﷺ أصــحابه باسـتمرار بـان دعوتـه ستصـل إلى كـل مكـان ليـبلغن هـذا الـدين مـا بلـغ الليـل والنهـار وذلـك تأكيـداً لعالميـة رسـالته. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء].

والمطّلــع علــى رســائل الرســول ﷺ للملــوك والزعمــاء يـدرك هـذا البعـد وحرصـه علـى السـلام البشـري لكافـة النــاس[(٢)]، وأن مــا وضــعه الله ورســوله مــن شــرع ونظــام كفيـل بالسـلام للجميـع حتـى لـو لم يـدخلوا في الإسـلام،

---

(١) انظـر: كتبـه ﷺ للملـوك والزعمـاء، في موضـعه بعـد غـزوة الحديبية،هـذا الكتاب.

(٢) انظـر: ابـن الجـوزي، أبـو الفـرج عبـدالرحمن بـن علـي، رسـائل ورسـل رسـول الله ﷺ إلى الملـوك والأشـراف، تحقيـق محمـد عبـد الـرحيم، دار سـعد الـدين، دمشق ١٤٢٥هـ.

الخالـدي: صـلاح عبـد الفتـاح، الرسـول المبلـغ ﷺ، دار القلـم، دمشـق١٤١٨هـ ص٩-١٢.

لكن شرط أن لا يعتدوا على المسلمين أو يصدوا الناس عن سماع الإسلام، وأتباعه إنه الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ.(١)

إنها النظرة العامة للعالم، والعلاقة به المبنية على السلام وتبليغ الرسالة وحملها للناس كافة، وصعوبة الانعزال عن المجتمعات البشرية وضرورة الاحتكاك بها(٢)، وتبليغها الخير والأخلاق والسلام الذي جاء به الإسلام(٣) وإمكانية التعايش مع المخالفين في الدين في ضوء حفظ الحقوق للجميع، بما فيها من حق الزكاة على المسلمين والجزية على غيرهم داخل دولة الإسلام، ومن منع الزكاة فهو مخالف للنظام والشرع، وكذلك من منع الجزية، والتعاون في دفع الظلم ومد وإقامة الجسور الاقتصادية مع سائر المناطق والشعوب المجاورة وحفظ طرق القوافل التجارية وإقامة العهود

(١) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

(٢) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٦.

(٣) انظر: قلعة جي، محمد رواس، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ط٢، دار النفائس بيروت ١٤٢٠هـ ص٣٠٤.

والمواثيق مع الدول والجماعات والقبائل وحفظها، وكانت واجبة التنفيذ من منطلق ديني وشرعي قابلة للشروط المختلفة التي يتم الاتفاق عليها.[١] وقد ألفت عدة كتب في هذه الوثائق والمعاهدات النبوية يمكن الرجوع إليها.[٢]

(١) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٢) انظر: ما احتواه كتاب د. محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة من وثائق عالمية عن عصر الرسالة.

وفاة المصطفى ﷺ: - [(١)]

جاء الرسول ﷺ ليعلم الناس عبادة الله والاستعداد لليوم الآخر ولقاء الله، وكان يذكرهم بالموت ويوم المعاد، وقد وردت لفظة الموت ومشتقاتها في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن الكريم ومنذ بداية البعثة والقرآن ويذكّر النبي ﷺ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾[الضحى].

وجاءت الآيات القرآنية لتعلن صراحة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، وترد الآيات على كفار قريش الذين كانوا ينتظرون وفاة الرسول ﷺ لتنتهي دعوته كما زعموا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]،

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقوله تعالى: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ]؛ ووضع ابن أبي شيبة، في كتاب المغازي، ما جاء في وفاة النبي ﷺ، ص٤٠٩؛ كما ألقيت العديد من الكتب في وفاة النبي ﷺ، وأخر ما تكلم به منها: أحمد جاد؛ وفاة الحبيب، وأبو تراب الظاهري؛ ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ وغيرها .

وهذا الأمر مبدأ عام لكل البشر والخلق: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء] وفي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء].

كما كان واضحاً أنه ﷺ كان يودع أمته ويؤكد على ذلك أكثر من مرة في حجة الوداع ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، فطفق يودع

الناس فقالوا: هذه حجة الوداع)).[١]

كما أنه ﷺ حين ودع معاذ بن جبل قبل سفره إلى اليمن، قال: ((يا معاذ عسى إنك لا تلقاني بعد عامي هذا فتمر بقبري ومسجدي))،[٢] فبكى معاذ رضي الله عنه.

في الوقت الذي هيأ فيه رسول الله ﷺ نفسه للقاء ربه واستعد لذلك كان القرآن يعد أصحابه وسائر الأمة لفراقه والثبات على دينه من بعده: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وكانت هذه الآية من مثبتات الصديق رضي الله عنه عند وفاة الرسول ﷺ تلاها على الناس فكانت عوناً في تهدئتهم وثباتهم، وقد قال ﷺ لابنته فاطمة ((إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضني به العام مرتين، وما أرى ذلك إلا

---

(١) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

(٢) رواه أحمد في **مسنده**، ج٤/ ٢١٠ ؛ وصححه الألباني في السلسلة، برقم: ٢٤٩٧

اقتراب أجلي)).(١)

وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: (سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك) قالت: قلت يا رسول الله: ما هذه الكلمات أراك أحدثتها تقولها قال: ((جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر])).(٢)

وكما كان رسول الله ﷺ حريصاً على توديع الأحياء، فقد كان كذلك حريصاً على زيارة قبور الأموات من المسلمين في آخر أيامه، فقد زار ﷺ قبور شهداء أحد كالمودع لهم، حيث ورد عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ صلَّى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: ((إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في

(١) رواه **البخاري**، حديث رقم: ٣٦٢٤ ؛ ورواه مسلم في **صحيحه**.
(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج٢/٥٠، وانظر: **تفسير بن كثير**، سورة النصر، ج٢/٢٠٤٣.

مقــامي هــذا، وإنــي لســت أخشــى علــيكم أن تشــركوا، ولكــن أخشــى علــيكم الــدنيا أن تنافســوها)).[١] فقــال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ.[٢]

كمــا حــرص رســول الله ﷺ علــى زيــارة مقــبرة البقيــع والــدعاء لأهلـها، ورد في حـديث أبـي مويهبـة مـولى رسـول الله ﷺ قــال: بعــثني رســول الله ﷺ مــن جــوف الليــل فقــال: (يــا أبــا مويهبــة إنــي قــد أمــرت أن أســتغفر لأهــل البقيــع فــانطلق معــي)، فانطلقــت معــه فلمــا وقــف بــين أظهـرهم قـال: (السـلام علـيكم يـا أهـل المقـابر، ليهنـأ لكـم مـا أصـبحتم فيـه مما أصـبح النـاس فيـه، أقبلـت الفـتن كقطـع الليــل المظلــم، يتبــع آخرهــا أولهــا، الآخــرة شــرٌ مــن الأولى)، ثـم أقبـل علـيَّ فقـال: (يـا أبـا مويهبـة، إنـي قـد أوتيــت مفــاتيح خــزائن الــدنيا والخلــد فيهــا ثــم الجنــة، فخـيرت بـين ذلـك وبـين لقـاء ربـي والجنـة)، قـال: فقلـت: بـأبي أنـت وأمـي خـذ مفـاتيح خـزائن الـدنيا والخلـد فيهـا ثـم

(١) العلـي، **صـحيح السـيرة**، ص ٥٥٤؛ وانظـر: ابـن أبي شـيبة، **المغـازي**، ص ٤١٨.

(٢) صـحيح البخـاري، كتـاب الجنـائز، بـاب الصـلاة علـى الشـهداء، وكتـاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم: ١٣٤، ٤٠٨٥.

الجنـة، قـال: (لا والله يـا أبـا مويهبـة، لقـد اخـترت لقـاء ربـي والجنـة)، ثـم اسـتغفر لأهـل البقيـع، ثـم انصـرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه.[١]

شكوى رسول الله ﷺ:-

في أواخـر شـهر صـفر وقبـل وفاتـه ﷺ بخمسـة وعشـرين يومـاً تقريبـاً بـدأت شـكوى رسـول الله ﷺ، وكـان صـابراً محتسـباً لا يشـتكي لكـن مناسـبة أظهـرت شـكواه، ذلـك أنـه ﷺ كـان راجعـاً مـن زيـارة أصـحاب البقيـع، فاشـتكت لـه أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا) مـن صـداع في رأسـها ((تقـول عائشـة زوج الـنبي ﷺ: رجـع إلـي الـنبي ﷺ مـن البقيـع فوجـدني وأنـا أجـد صـداعاً وأنـا أقـول: وارأسـاه، قـال: (بـل أنـا والله يـا عائشـة وارأسـاه)،[٢] قالـت: ثـم قـال: ومـا ضـرك لـو مِـت قبلـي فغسـلتك وكفنتـك،

(١) العلـي، **صـحيح السـيرة**، ص ٥٥٣، وانظـر: ابـن هشـام، **السـيرة النبويـة**، ج٢/٦٦٢.

(٢)رواه البخـاري في صـحيحه،كتاب المـرض، بـاب قـول المـريض إني وجـع أو وارأسـاه أو أشـتدّ بي الوجـع، ج٧/٨، وانظـر: الروايـة الأخـرى في كتـاب المغـازي، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاتـه، ج٥/١٤٢، وأنظر:كتـاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج٨/١٢٥.

وصليت عليك ودفنتك؟ قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه، فأستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذّن له)).(١)

نعم كانت بداية شكواه وشعور أمهات المؤمنين بها في ليلة محددة، بمناقشة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) له بعد عودته من البقيع.

ورد عن أم الفضل بنت الحارث قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله.(٢) ولعل حديث أم الفضل يشير إلي مغرب الليلة التي اشتدّ فيها وجع رسول الله ﷺ كما ذكرت عائشة رضي الله عنها ولعل هذا اليوم هو يوم الاثنين قبل وفاته بأسبوعين كما ذكر بعض العلماء.(٣)

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٤٣؛ وانظر: **صحيح البخاري**، حديث رقم: ٤٤٤٢.

(٢) رواه **البخاري في صحيحه** (باب مرض النبي ﷺ ووفاته)، ج٥/١٣٧.

(٣) من رواية البخاري،ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١٦/ ٢٦٠.

اشتداد المرض على رسول الله ﷺ:-

كان عند رسول الله ﷺ قبيل موته تسع من أمهات المؤمنين، وكان يرتاح أكثر عند أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وحين مرض ﷺ كان حريصاً على إعطائهن حقهن من المبيت، رغم ما في ذلك من إزعاج له بالتنقل اليومي حال المرض، ولما اشتدّ عليه المرض كان يسأل: ((أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة، فأذِنَّ له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها)).[١] وتوضح بعض الروايات كيفية انتقاله ﷺ للتمريض في بيت عائشة. ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي، فأذِنَّ له فخرج وهو بين رجُلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباسٍ ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمِّ عائشة؟ قال: قلت: لا قال

---

(١) من **حديث البخاري**، في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢.

ابـن عبـاس: هـو علـيٌّ،[١] كـان انتقـال علـي والعبـاس برسـول الله ﷺ لحجـرة عائشـة دلـيلاً علـى قربهمـا مـن رسـول الله ﷺ وعلـى مكانـة عائشـة وراحتـه ﷺ عنـدها. وقـد بقـي ﷺ في حجـرة أم المـؤمنين عائشـة آخـر أيامـه، وكانـت أمهـات المـؤمنين وآل البيـت مـن أمثـال العبـاس وعلـي بـن أبـي طالـب يـترددون عليـه ويسـعون لخدمتـه بمـا يسـتطيعون، وكـان يخـص بعضـهم بالحـديث لمـا لهـم مـن مكانـة عنـده ولحبـه الخـاص لهـم. ومـن هـؤلاء أبنتـه الوحيـدة المتبقيـة فاطمـة رضـي الله عنهـا أم الحسـن والحسـين سـيدا شباب أهل الجنة أشبه الناس بأبيها رسول الله ﷺ.[٢]

وقـد نقلـت لنـا أم المـؤمنين عائشـة رضـي الله عنهـا بكـل صـدق وأمانـة موقفـاً يـبين مكانـة فاطمـة (رضـي الله عنهـا) مـن رسـول الله ﷺ ومـا خصـها بـه مـن علـم لم يعطـه أحـداً، آخر فقـد روى البخـاري عـن عائشـة (رضـي الله عنهـا) قالـت: دعـا الـنبي ﷺ فاطمـة ابنتـه في شـكواه الـذي

(١) **البخـاري فـي صـحيحه**، كتـاب المغـازي، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاتـه، ج٥/١٤٠.

(٢) انظـر: روايـة البخـاري في صـحيحه، كتـاب المغـازي، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨

قبض فيه، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل أهل بيته يتبعه، فضحكت.[(١)]

وقد أورد البخاري تفصيلات أكثر عن هذه الحادثة برواية عائشة (رضي الله عنها) قالت: أقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشيّ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ((مرحباً بابنتي)) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت . فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك.[(٢)]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨

(٢) رواه **البخاري في كتاب الأنبياء**، حديث رقم: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤،

إن هــذه الحادثــة والروايــة تعطــى وضــوحاً تامــاً في خصوصـية فاطمـة رضـي الله عنهـا بـالعلم وإخبـار الرسـول ﷺ لهـا أنهـا سـيدة نسـاء أهـل الجنـة، كمـا أن عائشـة (رضـي الله عنهـا) كانـت صـادقة في النقـل عـن رسـول الله فهـاهي تحـدث بفضـائل فاطمـة، في كتـاب المناقـب عنـد البخـاري رحمـه الله وعنـد غـيره.[1] ومـا خـصَّ بـه رسـول الله ﷺ فاطمـة، وهـذا مـن أكـبر الأدلـة علـى الصـلة الصـحيحة الحقـة بـين أمهـات المـؤمنين وبـين بقيـة آل بيـت الـنبي ﷺ، فمعظـم الأحاديـث في فضـل فاطمـة وعلـي رضـي الله عنهمـا وردت بروايـة أم المـؤمنين عائشة (رضي الله عنهم).

ولعـل في تمـريض الرسـول ﷺ في بيـت عائشـة حِكَمـاً متعـددة، فبالإضـافة إلى راحـة الـنبي ﷺ النفسـية عنـدها ومعرفتهـا لمـا يريـد قبـل أن يـتكلم، فقـد كانـت أكثـر أمهـات المـؤمنين حفظـاً لمـا يقـول ﷺ وهـو في أيامـه الأخـيرة. ومـن المواقـف الأخـرى الخاصـة بفاطمـة رضـي الله عنهـا أنـه لمـا ثقـل

٣٦٢٥؛ ورواه **مسلم في كتاب فضائل الصحابة**، رقم ٢٤٥٠ـ ٩٩؛ **والترمذي في كتاب المناقب**، حديث رقم: ٣٩٦٤.

(١) انظر ترجمة فاطمة رضي الله عنها في؛ المعايشون للرسول ﷺ من هذا الكتاب.

الـنبي ﷺ قالـت فاطمـة رضـي الله عنهـا : وا كـرب أبـاه فقـال ﷺ ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)).(١)

كمـا ورد عـن عائشـة (رضـي الله عنهـا) قالـت: قـال رسـول الله ﷺ في مرضـــه: وددت لـــو أن عنـــدي بعـــض أصـــحابي، قلنـا: يـا رسـول الله ﷺ ألا نـدعو لـك أبـا بكـر؟ فسـكن، فقلنـا: ألا نـدعو لـك عمـر؟ فسـكت، قلنـا: ألا نـدعو لـك عثمـان؟ قـال: نعـم. فجـاء، فخلابـه فجعـل الـنبي ﷺ يكلمـه ووجه عثمان يتغير).(٢)

وقـد ورد أن عثمـان بـن عفـان ﷺ قـال يـوم الـدار: إن رسـول الله ﷺ عهـد إلـيّ عهـداً فأنـا صـائر إليـه، فكـانوا يرونـه ذلك اليوم.

وقـد ورد عـن عائشـة أن رسـول الله ﷺ قـال: ((يـا عثمـان إنـه إن ولاك الله هـذا الأمـر يومـاً فـأرادك المنـافقون أن تخلـع قميصـك الـذي قَمَصَـك الله فـلا تخلعـه، يقـول ذلـك ثـلاث

---

(١) من حديث البخاري في **صحيحه**، ج٥/١٤٤.

(٢) رواه ابـن ماجـه، في **المقدمـة**، ص ١١٣، وابـن سـعد، **الطبقـات**، ج ٣/ ٦٦، وصححه الألباني؛ انظر: أحمد جاد، **وفاة الحبيب**، ص ٧٦.

مرات)).[١]

وقـد ثبـت عـن أسـامة بـن زيـد ﷺ قـال لما ثقـل رسـول الله ﷺ هبطـت وهـبط النـاس بالمدينـة فـدخلت علـى رسـول الله ﷺ وقـد أصـمت فلـم يـتكلم، فجعـل رسـول الله ﷺ يضـع يديـه علـيّ ويرفعهمـا فـأعرف أنـه يـدعو لـي.[٢] ومـن المعـروف أن أسـامة بـن زيـد ﷺ كـان مكلفـاً في تلـك الفـترة وقبـل مـرض النبي ﷺ بقيادة جيش البلقاء.

وقـد ثبـت عـن عبـد الله بـن مسـعود ﷺ قـال: (دخلـت علـى رسـول الله ﷺ وهـو يوعـك فمسسـته بيـدي فقلـت يـا رسـول الله: إنـك لتوعـك وعكـاً شـديداً، فقـال رسـول الله ﷺ: ((أجـل إنـي أوعـك كمـا يوعـك رجـلان مـنكم قـال: فقلـت: ذلـك أن لـك أجـرين؟ فقـال ﷺ : أجـل، ثـم قـال ﷺ: مـا مـن مسـلم يصـيبه أذى مـن مـرض فمـا سـواه إلا حـط الله بـه سـيئاته

(١) من رواية الترمذي في **صحيحه**، المناقب، ص ٣٧٠٥.

(٢) ابـن هشـام، **السـيرة النبويـة**، ج٤/٦٥١؛ رواه الترمـذي، **كتـاب المناقـب**، ج٣٨١٧؛ ورواه أحمـد في **مسـنده**، (٢١٢٤٨)؛ وقـد جعـل البخـاري في **صـحيحه**، بـاب بعـث النـبي ﷺ أسـامة بـن زيـد في مرضـه الـذي تـوفي فيـه، بعـد بـاب وفـاة النـبي ﷺ، انظـر: الأحاديـث: ٤٤٦٨ ــ ٤٤٦٩.

كما تحط الشجرة ورقها)).[(١)]

وفي أثناء مرض الرسول ﷺ مرّ أبو بكر بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله ﷺ، فدخل العباس على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد: أيها الناس فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مسيئهم)).[(٢)]

ومن الخطب التي نقلت عنه ﷺ في مرضه ما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسَه بخرقه، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ليس أحد من الناس أمنّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً

---

(١) رواه البخاري في **صحيحه**، باب شدة المرض حديث رقم ٥٦٤٧، وباب "أشد الناس بلاء الأنبياء"، حديث رقم ٥٦٤٨، ٩٢٧.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، ج٤/٢٧٧ وانظر : ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٠.

من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)).(١)

ولا شك أن هذه الرواية من ابن عباس ﷺ فيها رد على من يدعي وجود خلاف بين أبي بكر ﷺ وبين آل البيت، فهاهو أحد علماء آل البيت يتحدث عن فضائل أبي بكر الصديق في كلام من آخر ما تحدث به رسول الله ﷺ إلى الأمة.

وورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال: ((إن الله خير عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر ﷺ، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا، قال: ((يا أبا بكر لا تبك إن من أمن الناس عليّ في صحبته وفي ماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام

---

(١) رواه **البخاري في صحيحه**، كتاب الصلاة ج١/١٢٠ و**أحمد في مسنده**، ج ١/٢٧٠؛ انظر: رواية **مسلم في** صحيحه، كتاب المساجد (٥٣٢).

ومودتـــه، لا يـــبقين في المســـجد بابـــاً إلا ســـد إلا بـــاب أبـــي بكر)).[(١)]

وقيـل إن الصـديق ﷺ لما فطـن لكـلام رسـول الله ﷺ بكـى وقـال: (بـل نفـديك بآبائنـا وأمهاتنـا وأنفسنا وأموالنـا يـا رسـول الله، ثـم هـبط فمـا قـام عليـه حتـى السـاعة)، [(٢)] وهـذا دليـل على أنها آخر خطب الرسول ﷺ.

ومـــن هـــذه الخطبـــة والتوريـــة مـــن رســـول الله ﷺ فهـــم الصـــديق وداع الـــنبي ﷺ وقـــرب أجلـــه، فبكـــى وأعلـــن اسـتعداده لفـداء رسـول الله ﷺ بكـل مـا يسـتطيع، فـإذا برسـول الله ﷺ يبادلـه الشـعور ويثنـى عليـه ويعطيـه فضـلاً نالـه وحـده ﷺ، وهـو أن تكـون خوختـه هـي البـاب الوحيـد الـذي يبقـى مباشـرة للـدخول علـى مسـجد رسـول الله ﷺ. وهـذا فيـه إشـارة إلى أنـه سـيكون إمـام المسـلمين للصـلاة بهـم بعـد رسـول الله ﷺ وهذا ما حصل بعد ذلك.

وقـد اجتمـع عليـه ﷺ أهـل بيتـه وقـد اشـتدّ بـه الوجـع، [(٣)]

---

(١) رواه **البخـاري فـي صـحيحه**، بـاب الخوخـة والممـر في المسـجد، حـديث رقم: ٤٦٦؛ وانظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ص ٦٤٩.

(٢) رواه **الدارمي في المقدمة**، باب وفاة النبي ﷺ، ج ٣٦/١.

(٣) انظر: أحمد جاد، **وفاة الحبيب**، ص ٦٤.

فتشـاوروا فيمـا بيـنهم، فقـرروا أن يلـدُّوه بـدواء جـيء بـه مـن الحبشــة (أي يــدخل دواء في جانــب فمــه) وهــو دواء خــاص بــذات الجنــب، فأشــار إلــيهم ﷺ أن لا يفعلــوا ذلــك، فقــالوا كراهيـة المـريض للـدواء، فـأمر رسـول الله ﷺ أن يُلـدَّ كـل مـن شـهد ذلـك ((لا يبقـى أحـد في البيـت إلا لُـدَّ وأنـا أنظـر إليـه إلا العبـاس، فإنـه لم يشـهدكم))، [١]وقـد أراد رسـول الله ﷺ مـن القصــاص مــنهم تطهيرهــم، خشــية أن يــأتوا يــوم القيامــة ويحاسـبوا علـى فعـل عصـوا فيـه رسـول الله ﷺ فكـان حريصـاً علـى الـتكفير عـنهم بالقصـاص رحمـة بهـم، لا انتقامـاً كمـا يظن البعض.[٢]

كمـا ثبـت أنـه حـين أشـتد عليـه وجعـه قـال: ((هريقـوا علـيَّ مـن سـبع قـرب لم تحـل أوكيـتهن لعلـى أعهـد إلى النـاس))، فأجلســناه في مخضــب لحفصــة زوج الــنبي ﷺ، ثــم طفقنــا نصـب عليـه مـن تلـك القـرب، حتـى طفـق يشـير إلينـا بيـده أن قــد فعلــتنّ قالــت ثــم خــرج إلى النــاس فصــلى لهــم

(١) من رواية البخاري في كتاب المغازي، حديث رقم: ٤٤٥٨.

(٢) انظـر الزرقـاني، **المواهــب اللدانيــة بــالمنح المحمديــة**، ج ٣/ ٣٧٩؛ وما بين القوسين من لفظ البخاري، حديث عائشة رقم: ٤٤٤٢.

وخطبهم)).[١]

كما ثبت عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه).[٢]

وكان من سنته ﷺ أن ينفث على نفسه في صحته ومرضه ﷺ، وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها): (أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفيّ فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وامسح بيد النبي ﷺ عنه).[٣]

وقد ورد أنه ﷺ كان يشتكي من السم الذي أكله في شاة اليهودية، في الطعام الذي صنعته لرسول الله ﷺ في خيبر، وأرادت به قتله ﷺ، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت

---

(١) **من حديث البخاري**، رقم: ٤٤٤٤، عن عائشة (رضي الله عنها).
(٢) **من حديث البخاري**، رقم: ٤٤٤٢.
(٣) **رواه البخاري**، حديث رقم: ٤٤٣٩.

بخيبر أو إن وجدت انقطاع أبهري في ذلك السم)).[١]

وفي الأيام الأخيرة اشتدّ الألم برسول الله ﷺ، وكان يجتمع عنده أهل بيته وخاصة أصحابه للسلام والاطمئنان عليه. وكان من لم يدخل عليه يسأل من دخل عليه وأن علياً رضي الله عنه (خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال: أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده العباس رضي الله عنه فقال: أنت، والله بعد الثلاث عبْد العصا، والله إني لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى في وجعه، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا، قال علي رضي الله عنه: والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يعطيناها الناس أبداً وإني لا أسألها رسول الله ﷺ أبداً).[٢]

وهذه الرواية تدل على إحساس العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ بحال النبي ودنو أجله، وخوفه مما قد يحدث لآل البيت

---

(١) **رواه البخاري**، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: ٤٤٢٨.

(٢) **رواه البخاري** عن كعب بن مالك، حديث رقم: ٤٤٤٧؛ وانظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ص ٦٥٤.

بعـد وفـاة الـنبي ﷺ، كمـا أنـه يؤكـد علـى أنهـم لا يعلمـون فـيمن يكـون الأمـر والخلافـة بعـد وفـاة رسـول الله ﷺ، وأن العبـاس يـرى الاستفسـار عـن ذلـك، ولكـن عليـاً رضي الله عنه رأى عـدم سـؤال رسـول الله ﷺ، مـع أن الأمـر لم يكـن واضـحاً بالنسـبة لعلـي والعبـاس (رضـي الله عنهمـا)، وقـد وردت أحاديـث أخـرى تـدل علـى أن رسـول الله ﷺ أراد أن يكتـب كتاباً للناس من بعده، إلا أن خلافاً حدث فيمن عنده.

عـن ابـن عبـاس رضي الله عنه قـال: (لمـا حضـر رسـول الله وفي البيـت رجـال فقـال الـنبي ﷺ: ((هلمـوا أكتـب لكـم كتابـا لا تضـلوا بعـده، فقـال بعضـهم: إن رسـول الله ﷺ قـد غلبـه الوجـع وعنـدكم القـرآن، حسـبنا كتـاب الله، فـاختلف أهـل البيـت واختصـموا، فمـنهم مـن يقـول: قربـوا يكتـب لكـم كتابـا لا تضـلوا بعـده، ومـنهم مـن يقـول غـير ذلـك، فلمـا أكثـروا اللغـو والاخـتلاف قـال رسـول الله ﷺ، قومـوا)). قـال عبيـد الله: فكـان يقـول ابـن عبـاس: إن الرزيـة كـل الرزيـة مـا حـال بـين رسـول الله ﷺ وبـين أن يكتـب لهـم ذلـك الكتـاب لاخـتلافهم ولغطهم.[(١)]

(١) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٣٢.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه تحدث بما كان يريد أن يكتب، فقد روى البخاري قال ابن عباس: (يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال: أتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها).(١)

ومن الواضح من هذه الرواية لابن عباس أحد علماء أهل البيت ما هي الوصايا التي أراد ها ﷺ، ولم تكن الخلافة من بعده موضوع تلك الوصية، ولو كانت موضوعها فإنه لم يكن فيها تحديد لشخص بعينه لا لعلي رضي الله عنه ولا لأبي بكر رضي الله عنه، بل ربما أشارت بعض الأحاديث أنه كان سيوصي لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده من غير قدح في عليّ ولا في غيره، وأنه كان ألمح إلى ذلك في مواقف أخرى سيأتي ذكرها، إلا أنه لم ينص عليه ﷺ ولو كان

---

(١) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٣١.

سينص على ذلك لعلي رضي الله عنه أو غيره لما ترك هذا الأمر إلى ساعات مرضه الأخيرة، ولكان ذكره أكثر من مرة خصوصاً قبل المرض، لأهمية الأمر.

ومن المعروف أنه ﷺ خطب الناس أكثر من مرة ولم يذكر أو يشر إلى شيء من ذلك في تلك الخطب، مع إمكانية الأمر ويسره لو كان ﷺ راغباً في ذلك، خصوصاً أنه تحدث عن أقل من هذا في تصور من يدّعون رغبته في الوصية لعلي رضي الله عنه أو لغيره.

كما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادع لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).[1] والثابت أنه لم يكتب لأبي بكر رضي الله عنه، وهذا الحديث يمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس رضي الله عنه السابق في البخاري بنية الرسول ﷺ في الكتابة واختلاف من حوله ثم عدوله عن الكتابة، وأنه ﷺ ربما كان ينوي الكتابة لأبي بكر لو كان موصياً،

(١) **رواه مسلم** في فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر الصديق؛ و**أحمد بن حنبل** في فضائل الصحابة، ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ و**المسند**، ج٦/٣٦؛ وابن سعد في الطبقات، ج٣/ ١٨١.

خصوصاً أنه أمره بالصلاة وهذه علامة قوية، مع أن الأمة ترى أنه لم يوصِ لأبي بكر ولا لغيره.

ومن المؤكد أن أبا بكر الصديق ﷺ قد صلى بالناس ثلاثة أيام وقيل سبع عشرة صلاة قبل وفاة النبي ﷺ. وكانت أولى تلك الصلوات صلاة عشاء، فقد ورد عن عائشة قالت: (ثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا. هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: صبوا ماء في المخضب ففعلنا، قالت فأغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوفاً في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله إلى أبي بكر ليصلي بالناس، فكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام).[1]

وقد ورد في رواية أخرى عند الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل فيه أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٢؛ وعثمان الخميس، **كنوز السنة**، ص٤٢١.

نفسه فقلت: إني أحفظ وأعي قال: ((أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم)).[١] وفي رواية لأم سلمة (حتى جعل يجلجلها في صدره، وما يفيض بها لسانه).[٢]

وقد ورد عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه).[٣]

اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ:-

وفاة الرسول ﷺ كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة الموافق: ٨حزيران ٦٣٣م وذلك في الضحى قبل منتصف النهار.[٤]

كان رسول الله ﷺ قد انقطع عن الصلاة بالمسلمين قبل الوفاة ثلاثة أيام الجمعة والسبت والأحد مع أن

---

(١) انظر: الذهبي، **السيرة النبوية**، ص ٥٥٧؛ وانظر: أبو تراب الظاهري، **ذهول العقول بوفاة الرسول**، ص ٣٣؛ وانظر: رواية عائشة عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٠.

(٢) **رواه النسائي** (انظر تخريجه)، في ذهول **العقول بوفاة الرسول**، ص ٣٣

(٣) انظر: الذهبي، **السيرة النبوية**، ص ٥٥٧؛ ومهدي رزق الله، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ص ٦٨٩.

(٤) أبو تراب الظاهري، **ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ**، ص ٤٢.و عبدالسلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ٢٩

حجرتـه تعـد داخـل المسـجد وفي طرفـه، وفي صـبيحة يـوم الاثـنين الـذي تـوفي فيـه رسـول الله ﷺ يظهـر حـرص رسـول الله علـــى الاطمئنـــان علـــى المســـلمين ووحـــدتهم واصـطفافهم للصـلاة جماعـة، خلـف أبـي بكـر الصـديق. فقـد روى البخـاري عـن أنـس بـن مالـك ﵁ قـال: (إن المسـلمين بينـا هـم في صـلاة الفجـر مـن يـوم الاثـنين وأبـو بكـر يصـلي لهـم، لم يفـاجئهم إلا رسـول الله ﷺ قـد كشـف سـتر حجـرة عائشـة، فنظـر إليـهم وهـم في صـفوف الصـلاة، ثـم تبسـم يضـحك، فـنكص أبـو بكـر علـى عقبيـه ليصـل الصـف، وظـن أن رسـول الله ﷺ يريـد أن يخـرج إلى الصـلاة، قـال أنـس: وهـمّ المسـلمون أن يفتتنـوا في صـلاتهم فرحـاً برسـول الله ﷺ فأشـار إلـيهم رسـول الله بيـده ﷺ أن أتمـوا صـلاتكم ثـم دخـل الحجـرة وأرخـى الستر).(١)

كـان هـذا آخـر عهـد جماعـة المسـلمين برسـول الله ﷺ، ولم يـره بعـدها إلا بعضـهم، ومـن هـؤلاء أبـو بكـر الصـديق ﵁ حيـث كـان مرابطـاً بـالقرب مـن رسـول الله ﷺ أثنـاء

(١) **رواه البخاري في صحيحه،** كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤١؛ وانظر: ابن هشام، **السيرة النبوية،** ج٤/٦٥٣.

مرضـه بمنزلـه المجـاور للرسـول ﷺ، منقطعـاً عـن بيتـه الآخـر الذي بالسنح في أطراف المدينة، حيث زوجته الثانية.

وفي اليـوم الـذي تـوفي فيـه الرسـول ﷺ اسـتأذن أبـو بكـر مـن رسـول الله ﷺ في أن يـزور بيتـه الـذي بالسـنح ليتفقـد أحواله، فكان هناك حين قبض رسول الله ﷺ.(١)

ولعـل حـديث أنـس عـن حـال فاطمـة بنـت الـنبي ﷺ مـع أبيهـا كـان يـوم وفاتـه ﷺ: ((لمـا ثقـل الـنبي ﷺ جعـل يتغشـاه، فقالـت فاطمـة - عليهـا السـلام- : وأكـرب أبـاه، فقـال لهـا ﷺ: لـيس علـى أبيـك كـرب بعـد اليـوم)).(٢)

وربمـا يـدل الحـديث علـى أنـه أخبرهـا أن هـذا آخـر يـوم في حياته، وأنه لن يكون من أهل الدنيا بعد ذلك اليوم.

---

(١) ابـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٤/٦٥٤؛ أبـو تـراب الظـاهري، ذهـول العقـول بوفـاة الرسـول ﷺ، ص ٣٧؛ وانظـر روايـة البخـاري في صـحيحه، حـديث رقـم ٤٤٥٢.(والسُـنح منطقـة في أطـراف المدينـة تبعـد مـا يقـارب الميـل عـن مسـجد رسـول الله ﷺ وفيهـا مـزارع بـني الحـارث بـن الخـزرج قرب وادي بطحان المشهور في عوالي المدينة)

(٢) **مـن روايـة البخـاري فـي المغـازي**، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاتـه حـديث رقم: ٤٤٦٢.

كمـا أنـه لا يسـتبعد أن نفـث عائشـة (رضـي الله عنهـا) [١] علـى الـنبي ﷺ كـان أكثـر مـن مـرة، ومنهـا اليـوم الـذي تـوفي فيه، حيث أشتدّ عليه الألم ﷺ.

وقـد شـهد بعـض الصـحابة آخـر مـا تكلـم بـه الـنبي ﷺ ولعـل ذلـك كـان في اليـوم الـذي تـوفي فيـه ﷺ ومـن ذلـك مـا رواه أبـو عبيـدة بـن الجـراح رضي الله عنه قـال: آخـر مـا تكلـم بـه الـنبي ﷺ: ((أخرجـوا يهـود أهـل الحجـاز وأهـل نجـران مـن جزيـرة العـرب واعلمـوا أن شـرار النـاس الـذين اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد)).[٢] وهـذا هـو آخـر مـا سمعـه أبـو عبيـدة مـن الـنبي ﷺ وقـد يكـون غـيره سمـع مـن بعـده شـيئاً إضـافياً آخر من النبي ﷺ.

ومـن هـذه الروايـة يبـدو أن أبـا عبيـده بـن الجـراح رضي الله عنه كـان مـن آخـر مـن لقـي الرسـول ﷺ. ويتضـح مـن ذلـك اهتمامـه ﷺ باسـتقرار الدولـة الإسـلامية، ومـن ذلـك إخـراج اليهـود والنصـارى، حيـث كـانوا يشـكلون تهديـداً في تلـك

---

(١) انظـر: **حـديث البخـاري فـي صـحيحه**، بـاب مـرض النـبي ﷺ ووفاتـه حديث رقم: ٤٤٣٩.

(٢) رواه الإمـام أحمـد في مسـنده، ج١/ ١٩٥؛ وقـال الهيثمـي في مجمـع الزوائد، رجاله ثقات ج٥/ ٣٢٥.

المرحلـة، كمـا كـان واضـحاً أن الرسـول ﷺ، كـان مشـدداً في منـع النـاس مـن اتخـاذ قبـور الأنبيـاء مسـاجداً، لمـا في ذلـك مـن الشـرك الأكـبر، وإن كـان هـذا لا يجـوز مـع الأنبيـاء، فمـع غيرهـم مـن أهـل الأنبيـاء وأصـحابهم مـن بـاب أولى، وبالتـالي حـرص علـى أن يكـون مـن آخـر وصـاياه للأمـة ﷺ.

وكـان الرسـول ﷺ يخشـى أن يَفعَـل النـاس بقـبره كمـا فعلـت الأمـم السـابقة بقبـور أنبيـائهم، كـاليهود والنصـارى، ويؤكـد ذلـك روايـة أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا)، وابـن عبـاس (رضـي الله عنهمـا) في صـحيح البخـاري، قـالا: لمـا نزلـت برسـول الله ﷺ طفـق يطـرح خميصـة لـه علـى وجهـه فـإذا اغـتمّ كشـفها عـن وجهـه وهـو كـذلك يقـول: ((لعنـة الله علـى اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد))،[١] يحـذر مـا صـنعوا، كمـا أكـدت عائشـة رضـي الله عنهـا في روايـة أخـرى قالـت: (لـولا ذلـك لأبرز قبره خشية أن يتخذ مسجداً).[٢]

(١) **رواه البخاري في صحيحه،** حديث رقم: ٤٤٤٤.

(٢) **من رواية البخاري في صحيحه،** حديث رقم: ٤٤٤١.

ولذلك فكل من فعل مثل ذلك بأي قبر لأي إنسان كائناً من كان فهو عاص لرسول الله ﷺ ومخالف لأمره.

السواك:

كان رسول الله ﷺ حريصاً على السواك طوال حياته يفعله ويأمر المسلمين به، عند كل وضوء وعند كل صلاة، يحث عليه ويحمله معه في حله وترحاله.

وكان من آخر من دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، حيث كان دخوله خاصاً بحكم أخوته لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وكونه محرماً لها، وتقص أم المؤمنين عائشة حادثة دخول عبد الرحمن بن أبي بكر واستياك رسول الله ﷺ في آخر حياته فتقول: (دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فقضمته، ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى ﷺ فاستن به فما رأيت رسول الله ﷺ استن استنانا قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال: "في الرفيق الأعلى" ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول مات

بين حاقنتي وذاقنتي).[١]

وكانت عائشة رضي الله عنها فخورة باختلاط ريقها بريقه ﷺ بسبب ذلك السواك تقول (رضي الله عنها): (فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة).[٢]

وقبل وفاته ﷺ أخذته بُحة وفهمت عائشة (رضي الله عنها) ما كان يقول، تقول رضي الله عنها: (فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة، يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ [النساء] قالت: فظننت خيراً حينئذ).[٣]

وكان ﷺ في صحته يحدث (وهو صحيح أنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير)، قالت عائشة: (فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي،

(١) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٣٨، ٤٤٤٩، ٤٤٥٠؛ انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٤.

(٢) من **رواية البخاري في صحيحه**، حديث رقم ٤٤٥١.

(٣) **رواه البخاري**، باب مرض النبي ﷺ حديث رقم: ٤٤٣٥؛ **ومسلم في فضائل الصحابة**.

غُشـي عليـه سـاعة ثـم أفـاق، فأشـخص بصـره إلى السـقف ثـم قـال: ((اللـهم الرفيـق الأعلـى)).[١] قالـت عائشـة: إذاً لا يختارنا.

قالـت عائشـة: فكانـت تلـك آخـر كلمـة تكلـم بهـا رسـول الله ﷺ قولـه: ((اللـهم الرفيـق الأعلـى)). وقـد قـبض رسـول الله ﷺ ورأسـه في حجـر عائشـة، وقـد قالـت (رضـي الله عنهـا): (مـات رسـول الله ﷺ وإنـه لـبين حـاقنتي وذاقـنتي، فـلا أكـره شـدة المـوت لأحـد أبـداً بعـد النبي ﷺ).[٢]

ومـن المؤكـد إسـناد ظهـره إلى أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا) في لحظاتـه الأخـيرة، فقـد ورد عنهـا (أصـغيت إليـه قبـل أن يمـوت وهـو مسـند إلـيّ ظهـره يقـول: ((اللـهم أغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى)).[٣]

وفي حـديث آخـر قالـت: (وإنـي لمسـندته إلى

---

(١) **رواه البخـاري**، بـاب مـن تسـوك بسـواك غـيره، حـديث رقـم: ٤٤٦٣؛ وانظر: حديث رقم: ٨٩٠؛ وابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٥.

(٢) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٤٠، ٤٤٤٩.

(٣) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٥٩.

صدري)، [١] وفي حديث آخر ما يدل على أن رأسه على فخذ عائشة رضي الله عنها ولا تناقض بين ذلك، روى البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح أنه لم يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال في الرفيق). [٢]

وفي وراية لعائشة رضي الله عنها أنه كان: (بين يديه ركوة أو شيء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: ((لا إله إلا الله إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فيقول: ((في الرفيق الأعلى)) حتى قبض ومالت يده). [٣]

كانت صورة الرسول ﷺ الجسدية حسنة، لم تتغير قبل وفاته ﷺ، فمع مرضه ما يقارب الأسبوعين إلا أنه ﷺ كان في أحسن صورة، ولم يؤثر المرض في جماله

---

(١) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٦٣.

(٢) انظر: حديث رقم: ٤٤٣٧ في **البخاري** سبق ذكره.

(٣) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٤٩؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٥.

وبهائـه ﷺ.[١] مـع أنـه ﷺ لم تظهـر عليـه آثـار الشـيخوخة أو الشـيب والضـعف، فقـد ورد عـن انـس بـن مالـك ﷺ قـال: (تـوفي رسـول الله ﷺ ومـا في رأسـه ولحيتـه عشـرون شـعرة بيضاء).[٢]

كانـت عائشـة (رضـي الله عنهـا) شـابة لم تـرَ الأمـوات ولا خـبرة لهـا بـذلك، فلمـا مـال رأسـه عنـد المـوت سـقط مـن فيـه نقطـة بـارد علـى ترقـوة عائشـة (رضـي الله عنهـا) وصـدرها ثـم مـال فسـقط علـى الفـراش تقـول (رضـي الله عنهـا): (ولم أكـن رأيـت ميتـاً قـط، فـأعرف المـوت بغـيره، فجـاء عمـر يسـتأذن ومعـه المغـيرة بـن شـعبة، فأذنـت لهمـا ومـددت الحجـاب، فقـال عمـر: يـا عائشـة مـا لـنبي الله؟ قلـت: غُشـي عليـه منـذ سـاعة، فكشـف عـن وجهـه فقـال وا غمـاه، إن هـذا لهـو الغـم، ثـم غطـاه، ولم يـتكلم المغـيرة، فلمـا بلـغ عتبـة البـاب قـال المغـيرة: مـات رسـول الله ﷺ يـا عمـر، قـال: كـذبت مـا مـات رسـول الله ولا يمـوت حتى يأمر بقتال المنافقين، بل أنت تحوسك فتنة).[٣]

---

(١) أحمد جاد، **وفاة الحبيب**، ص ١١٧.

(٢) **رواه احمد في مسنده**، حديث رقم: ١٢٠٤٣.

(٣) **رواه البخاري في صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٩٥.

كــان الصــديق أقــرب النــاس إلى رســول الله ﷺ، وقــد حــل محلــه للصــلاة بالنــاس بــأمره، وعــده النــاس نائبــاً للرســول في الإمامــة بالصــلاة وغيرهــا، وكــان غائبــاً تلــك اللحظــة عنــد زوجتــه الأخــرى بالسُــنح في أطــراف المدينــة، علــى بعــد ميــل تقريبــا، ومــا أن تــوفي الرســول ﷺ حتــى أســرع النــاس إلى اســتدعاء الصــديق ﷺ، الــذي أقبــل مســرعاً علــى فرســه، ولم يحــدث أحــداً، ودخــل حجــرة ابنتــه عائشــة (رضــي الله عنهــا)، ورفــع الحجــاب فنظــر إلى الرســـــــــول ﷺ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقــرة]، مــات رســول الله ﷺ، ثــم جــاء قِبَــل رأسِــه وقبَّــل رأسَــه وقــال: وانبيــاه. ثــم قبَّــل رأســه وقــال: واصــفياه. ثــم قبَّله وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ.(١)

وقــال: (والله لا يجمــع عليــك مــوتتين أمــا الموتــة الــتي كتبــت عليــك فقــد متهــا).(٢) وقــد أشــار البخــاري إلى تقبيــل

---

(١) **رواه أحمــــد فــــي مســــنده**، ج٦/٣١؛ وانظــر: **روايــــة البخــــاري فــــي صــــحيحه**، حــديث رقــم: ٤٤٥٠، ورواه الترمــذي في مختصــر الشــمائل ص ١٩٦.

(٢)مــن حــديــث **البخــاري فــي صــحيحه**، بــاب الــدخول علــى الميــت، والحــديث رقــم: ٤٤٥٢، وكتــاب المغــازي، بــاب مــرض الرســول ﷺ ووفاتــه، ج٥/١٤٣.

أبـــي بكـــر الصـــديق ﷺ لرســـول الله ﷺ في أكثـــر مـــن حديث).[(١)]

كـان الوضـع في مسـجد رسـول الله ﷺ صـعباً، حيـث كـان النـاس يتجمعـون، ليسـألوا عـن صـحته ﷺ ويطمئنـوا عليـه، ولشـدة محبـتهم لـه لا يكـاد بعضـهم يفـارق مسـجده، وكـان عمـر غـير مصـدق بوفـاة الرسـول ﷺ، يـتكلم ويزمجـر ويتوعـد،[(٢)] قـائلاً: إن رسـول الله ﷺ لا يمـوت حتـى يفـني الله عزّ وجل المنافقين.

فخرج أبو بكر ﷺ من حجرة عائشة إلى المسجد، فلما رآه الناس انصرفوا عن عمر وتوجهوا إلى أبي بكر ليسمعوا ما يقول، وكان عمر لا يزال يتكلم في الناس ويصف ابن عباس المشهد وهو شاهد عيان حاضر فيقول: (إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبي عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن**

(١)انظر: حديث **البخاري**، ج٥/١٤٣.

(٢)انظر: حديث **البخاري** رقم: ٤٤٥٤؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٥.

قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]. قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها وقال سعيد بن المسيب: إن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي ﷺ قد مات).[1] لقد كان فقه أبي بكر وحكمته واضحين، كان صاحب الموقف ورَجُله، أوعى الناس للقرآن وأكثرهم استحضاراً له، ولذلك فإن الكثيرين ما أن سمعوا الصديق يقرأ تلك الآية حتى أحسوا وكأنها نزلت الساعة، فخرج الناس من المسجد إلى طرقات المدينة يتلون الآية وكأنها أنزلت للتو.[2]

وذكر أن علياً رضي الله عنه أُقعد ولم يستطع حراكاً لشدة الصدمة ، كما ذكر أن عثمان رضي الله عنه أُخرس وبداء يذهب ويجيء ولا

---

(١) رواه **البخاري** في صحيحه حديث رقم: ٤٤٩٧؛ وابن أبي شيبة، **المغازي**، ص١٠٤١؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٧.

(٢) القسطلاني، **المواهب اللدانية**، ص ٣٩١.

يتكلم.[١]

أمـا ابنتـه وحبيبتـه ﷺ فاطمـة رضـي الله عنهـا، الوحيـدة الباقيـة مـن بناتـه فقـد كـان مصـابها عظيمـاً وجلـلاً، وكـان ﷺ أخبرهـا مقـدماً بـدنو أجلـه. وينقـل أنـس بـن مالـك رضي الله عنه مـا قالتـه حـين علمـت بوفـاة الرسـول ﷺ: (لمـا ثقـل الـنبي ﷺ جعـل يتغشَّـاه، فقالـت فاطمـة (عليهـا السـلام): واكـرب أبـاه. فقـال لهـا الـنبي ﷺ: ((لـيس علـى أبيـك كـرب بعـد اليـوم)). فلمـا مـات قالـت: يـا أبتـاه أجـاب ربًـا دعـاه، يـا أبتـاه في جنـة الفـردوس مـأواه، يـا أبتـاه إلى جبريـل ننعـاه. فلمـا دفـن قالـت فاطمـة (عليهـا السـلام): يـا أنـس أطابـت أنفسـكم أن تحثـوا على رسول الله ﷺ التراب).[٢]

أمـا أنـس بـن مالـك خـادم رسـول الله ﷺ، الـذي كـان متعلقـاً برسـول الله ﷺ ملازمـاً لـه ﷺ فيعـبر عـن مصـابه بوفـاة الرسـول ﷺ بقولـه: (لمـا كـان اليـوم الـذي دخـل فيـه الـنبي ﷺ المدينـة أضـاء منهـا كـل شـيء ومـا نفضـنا عـن الـنبي ﷺ الأيـدي

---

(١) انظر السهيلي، **الروض الأنف**، ج٤/ ٤٦٨.

(٢) رواه البخاري في **صحيحه**، حديث رقم: ٤٤٦٢.

إنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا).(١)

شمل وقع الوفاة كل من عرف رسول الله ﷺ وأحبه، فأم أيمن حاضنة النبي ﷺ كانت هاجرت إلى المدينة وكان ﷺ يزورها ويتفقدها، فلما توفى الرسول ﷺ حرص أبو بكر على زيارتها، فقال بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: (انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقال لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكي، أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان).(٢)

إن تفكير أم أيمن (رضي الله عنها) بحس أهل الأرض جميعاً، وحاجتهم إلى الوحي والتوجيه، وافتقادهم إلى الرابط والواسطة بين السماء والأرض، بين الرب وعباده حيث كان الرسول المعلم المربي الموجه الرحيم الشفيع ﷺ بين أظهر الناس، فإذا مات انقطعت تلك الصلة المباشرة.

---

(١) أخرجه **الترمذي** في المناقب، باب رسول الله خاتم النبيين، ٣٦٢٢ ؛ وأحمد في المسند، ج٣ / ١٢٢، ٢٤٠.

(٢) رواه **مسلم في صحيحه**، باب فضائل أم أيمن رقم: ٢٤٥٤؛ وانظر: ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٤١٣.

كـان النـاس كلـهم يفتقـدون رسـول الله ﷺ، وكـان يعـزي بعضـهم بعضـا، وذكـر أن بـلال بـن ربـاح رضي الله عنه لمـا أذنّ بعـد وفـاة الرسـول ﷺ قـال أشـهد أن محمـداً رسـول الله أرتـج المسـجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ﷺ ترك بلال الآذان.(١)

عـن سـهل بـن سـعد رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: ((سـيعزي النـاس بعضـهم بعضـا مـن بعـدي تعزيـة في))، وكـان النـاس يقولـون مـا هـذا؟ فلمـا قـبض رسـول الله ﷺ لقـي بعضـنا بعضا يعزي بعضهم بعضا برسول الله ﷺ.(٢)

وتبصـروا في قـول رسـول الله ﷺ: ((إذا أصـاب أحـدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب)).(٣)

ويصـف الشـيخ محمـد الغزالـي انتشـار الخـبر في المدينـة بقولـه: (وتسـرب النبـأ الفـادح مـن البيـت المحـزون، ولـه طـنين في الآذان، وثقـل تـرزح تحتـه النفـوس، وتـدور بـه البصـائر والأبصـار. وشـعر المؤمنـون ان آفـاق المدينـة قـد أظلمـت،

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدانية، ج٣ / ٣٩٢.

(٢) الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٩/ ٣٨؛ وانظر: أحمد جاد، **وفاة الحبيب**، ص ١٥٦.

(٣) قال عنه الألباني، صحيح بشواهد سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٠٦.

فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون).[١]

كان الحزن شديداً لدى المسلمين عامة، ولدى أهل المدينة خاصة لكنهم يتذكرون قول الله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) ﴾ [الضحى]، فيؤمنون أن لقاء الله نعمة لرسول الله ﷺ وجنة الفردوس الأعلى والكوثر موعده، وكان للمؤمنين والأمة كلها حزن وبلاء ومصيبة عظيمة، تقول عائشة (رضي الله عنها): (لما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب واشرأبت اليهود والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه).[٢]

وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً، روى البخاري بسنده عن عمرو بن الحارث قال: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة).[٣]

---

(١) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، ص ٥١٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/ ٦٦٥.

(٣) رواه **البخاري** في صحيحه، حديث رقم ٤٤٦١؛ وانظر: رواية عائشة عند **الإمام أحمد** في مسنده؛ ولنظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج ٤

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها): (أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهن درعاً من حديد).[١]

وورد عن عائشة قالت: (توفى النبي ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير).[٢]

وكان ﷺ في حياته يقول: (ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها).[٣] ما كان ﷺ حريصاً على جمع المال وتكديسه للورثة، وكان يحذر من ذلك في قوله الذي رواه الحارث بن سويد قال عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال فإن ماله

/٤٤٥.

(١) رواه **البخاري**، حديث رقم: ٢٠٦٨، و ٢٩١٦، و ٤٤٦٧.

(٢) البيهقي، **دلائل النبوة**؛ وانظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج ٤٤٥/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب ما قدم من ماله فهو له، ج١٧٦/٧.

ما قدم ومال وارثه ما أخر)).(١)

وقد قال ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال))،(٢) كما أنه من المعروف أن الصدقة لا تحل له ﷺ ولا لآل بيته إنما يأكلون من الخمس.

لقد جادت قرائح الشعراء منذ وفاة الرسول ﷺ إلى اليوم الحاضر بقصائد مختلفة في رثاء الرسول ﷺ، ولعل أصدقهم رثاءً كان شاعره ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري، الذي أجاد في مدح الرسول ﷺ في حياته، كما أبدع في رثائه عند مماته وهو أول من فتح للشعراء باب رثاء النبي ﷺ، حيث قال يبكي رسول الله ﷺ في قصيدة من عيون الشعر أوردها ابن هشام، قال فيها رضي الله عنه:

بطيبة رسم للرسول ومعهد

منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتهمدُ

ولا تنمحي الآيات من دار حرمةٍ بها

منبر الهادي الذي كان يصعد

(١) رواه **البخاري** في صحيحه، حديث رقم ٣٥٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٢٥٧٨، وانظر: باب الخراج والإمارة والفيء قول رسول الله ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة

وواضـــح آثارٍ وباقي معـــالمٍ

وربـع له فيه مصلى ومسجـد

بها حجراتٌ كان ينزل وسطها

من الله نور يُستضـــاء ويوقــد

معارف لم تُطمَس على العهد آيُها

أتاها البالي فالآي منها تَجَدَّد

عرفت بها رسمَ الرسول وعهده

وقبرا بها واراه في الترب مَلحَد

ظللت بها أبكي الرسولَ فأَسعدَت

عيونٌ ومثلاها من الجفن تسعد

يذكِّرن آلاءَ الرسول وما أرى لهـا

مُحصِيا نفسي فنفسي تبلَّد

مُفجَّـعة قد شفَّها فقـدُ أحمد

فظلت لآلاء الرســول تعــدد

وما بلغت من كل أمر عُشَيْرَة

ولكن لنفسي بعد ما قـد توَجِّد

أطالت وقوفا تذرف العين جَهدَها

على طـلل القبر الذي فيه أحمـد

فبوركْتَ يا قبر الرسول وبوركَتْ

بلادٌ ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحـد منك ضُمن طيـبا

عليه بنـاء من صفيح منضـد

تهـيل عليه الـترب أيدٍ وأعينٌ

عليه وقـد غـارت بذلك أسعُـد

لقد غيَّبوا حِلماً وعلماً ورحمـة

عشية علَّـوه الثرى لا يوسـد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم

وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يُبكُّون من تبكي السماوات يومَه

ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهــل عدلت يومـا رزيةُ هالك

رزيةَ يوم مـات فيه محمـد

تقطع فيه مـنزلُ الوحي عنهم

وقد كـان ذا نـور يغور وينجد

يدل على الرحمن من يقتدي به

وينقذ من هول الخــزايا ويرشد

إمـامٌ لهم يهديهمُ الحق جاهدا

معلم صدق إن يطيعـوه يسعدوا

عفُوٌّ عن الزلات يقبل عذرهم

وإن يحسنوا فالله بالخير أجود

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله

فمن عنده تيسير ما يتشـدد

فبينا همُ في نعمة الله بينهم

دليل به نهــج الطريقة يُقصَد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى

حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوف عليهم لا يثنى جناحه

إلى كنف يحنـو عليهم ويمـهد

فبينا همُ في ذلك النور إذ غدا

إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقصَد

فأصبح محمودًا إلى الله راجعا

يبكيه حــق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحُرمِ وحْشا بقاعها

لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها

فقـيدٌ يّبكِّــيه بـلاط وغــرقد
ومسجـده فالموحشــات لفقده

خـلاء له فيه مقــامٌ ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت

ديار وعرصـات وربـع ومولد
فبكِّى رســول الله يا عينُ عبرةً

ولا أعرفنْك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تَبكِين ذا النعمة التي

على الناس منها سابغٌ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي

لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقــَد الماضون مثلَ محمدٍ

ولا مثلُه حتى القــيامة يفقـد

أعفُّ وأوفى ذمــة بعــد ذمة

وأقـرب مــنه نائــلا لا ينكّــد

وأبـــذلُ منه للطـــريف وتالد

إذا ضــن معطـاء بما كان يتلد

وأكرمُ صيتا في البيوت إذا انتمى

وأكرمُ جــداً أبطحيا يسود

وأمنع ذروات وأثبت في العـــلا

دعائم عـــز شاهقات تُشَيِّد

وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا

وعوداً غذاه المزن فالعود أغيَد

رَبَــاه وليـدا فاســـتتم تمامه

على أكرم الخيرات ربٌّ مُمَجَّد

تناهت وصاة المسلمين بكفـه

فلا العلم محبوسٌ ولا الرأي يفند

أقــول ولا يُلفَى لقولي عائبٌ

من الناس إلا عازبُ العقلِ مبعَد

وليس هــواي نازعا عن ثنائه

لعلي به في جـنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جوارَه

وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد(١)

ومما قال حسان بن ثابت في بكائه ورثاء رسول الله ﷺ، كما أورد بن هشام:

ما بال عينك لا تنام كــــــأنما

كحلت مآقيها بكحل الأرمــــد

جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً

يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني

غيبت قبلك في بقيع الغرقـــــد

بأبي و أمي من شهـدت وفـاته

في يوم الاثنين النبي المهتـــــدي

فظللت بعد وفاته متبلــــــداً

(١) ابـــن هشـــام، الســـيرة النبويـــة، شـــعر حســـان بـــن ثابـــت في مرثيتـــه الرسول، ج٤/٦٦٦- ٦٦٩.

متلدداً يَا ليتني لــــــــــم أولد

أأقيم بعدك بالمدينة بينــــــهم

يا ليتني صبحت سَمَ الأســـــود

ومما قال في القصيدة نفسها :

أو حل أمر الله فينا عاجلاً   في روحةٍ من يومنا أو في غد

فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً   محضاً ضرائبه كريم المحتد

يا بِكرَ آمنة المبارك بكرها   ولدته محصنةً بسعد الأسعد

نوراً أضاء على البرية كلها   من يُهد للنور المبارك يهتدي

يا رب فاجمعنا معاً و نبينا   في جَّنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس فاكتبها لنا   يا ذا الجلال و ذا العلا والسؤدد

و الله أسمع ما بقيت بهالكٍ   إلا بكيت على النبي محمدٍ

يا ويح أنصار النبي و رهطه   بعد المغيب في سواء الملحد

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا   سوداً وجوههم كلون الأثمد

و لقد ولدناه و فينا قبره   و فضول نعمته بنا لم يجحد

و الله أكرمنا به و هدى به   أنصاره في كل ساعةٍ مشهد

صلى الإله و من يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد[1]

ومما قال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ نقلاً عن ابن هشام في السيرة النبوية :

نَبِّ المساكين أن الخيرَ فارقهم

مع النبي تولى عنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي

ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه

إذا اللسان عتى في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه

بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واراه بملحده

وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول، ج٤/٦٦٩- ٦٧٠.

ولم يعش بعده أنثى ولا ذكراً

ذلت رقاب بني النجار كلهم

وكان أمراً من أمر الله قد قُدراَ

واقتسم الفيء دون الناس كلهم

وبددوه جهاراً بينهم هدراً

ومما قال حسان ﷺ أيضاً:

آليت ما في جميع الناس مجتهدا

مني إليه برا غير إفناد

تالله ما حملت أنثى، ولا وضعت

مثل الرسول، نبي الرحمة الهادي

ولا برا الله خلقا من بريت

أوفى بذمة جار، أو بميعاد

من الذي كان فينا يستضاء به

مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك عطلن البيوت فما

يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المباذل قد

أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نهر

أصبحت منه كمثل المفرد الصادي(١)

تجهيز الرسول ﷺ والصلاة عليه ودفنه:-

حينما توفى الرسول ﷺ كان يلبس كساءً غليظاً، ورد عن أبي بردة ﷺ قال: أخرجت إلينا عائشة أزراراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساءاً من هذه التي يدعونها المليدة وفي رواية أنها قالت: (في هذا نزع روح رسول الله ﷺ)،(٢) ولا شك أن عائشة تركت حجرتها وخرجت بعد أن سجت رسول الله ﷺ عند اجتماع المسلمين ليباشر النبي ﷺ أهله من الرجال، الذين واروا الحجرة على جسد رسول الله ﷺ الطاهر، وبقي كذلك ﷺ فترة انشغال المسلمين بالخبر، وكان أشد الناس حزناً على رسول الله ﷺ وفقداً له أقربهم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٧١.

(٢) من **رواية البخاري**، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه، ٣١٠٨؛ **ومسلم في صحيحه**، كتاب الزينة، باب التواضع في اللباس، ٢٠٨٠/٣٤.

إليــه ابنتــه فاطمــة (رضــي الله عنهــا)، ولــذلك اجتمــع عنــدها وفي بيتهــا آل البيــت، علــى رأســهم عمــه العبــاس بــن عبــد المطلــب، وعلــي بــن أبــي طالــب والــزبير بــن العــوام ومعهــم طلحــة بــن عبيــد الله ﷺ أجمعــين.(١) كمــا عــرف عــن صــفية رضــي الله عنهــا أنهــا كانــت تلــوح بثوبهــا بيــدها مــا تســتطيع الحديث من الحزن.(٢)

وكانــت جميــع بيــوت الصــحابة صــغيرة يصــعب اجتمــاع الكــثيرين فيهــا في وقــت واحــد، واجتمــع بعــض المهــاجرين والأنصــار عنــد أبــي بكــر الصــديق ﷺ، وقــد أغلقــت الحجــرة علــى جســد رســول الله ﷺ، وبقــي جســده ﷺ بقيــة يــوم الاثــنين يــوم الوفــاة، حيــث انشــغل النــاس بتــدبير خلافــة الرســول ﷺ. ولعلــهم اهتمــوا لهــذا الأمــر مبكــرين قبــل تجهيــز جســده الطــاهر ودفنــه، لشــعورهم أنهــم مــا زالــوا تحــت إمرتــه مــا دام جســده موجــوداً لم يــوارَ الــتراب، وإحساســهم بــأن علــيهم تــدبير أمــر خلافته قبل دفنه ﷺ، واشتغل الناس ببيعة الصديق ﷺ.(٣)

---

(١) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٥٠.

(٢) ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٤١٤.

(٣) مروان كجك، تهذيب سيرة ابن كثير، ص ٦٨٣؛

وانظــر: بيعــة العقبــة، مــن هــذا الكتــاب؛ وانظــر: ابــن هشــام، الســيرة النبويــة،

وفي يوم الثلاثاء وهو التالي لوفاته ﷺ، اجتمع في حجرة عائشة رضي الله عنها آل النبي ﷺ، عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأبناء عمه العباس الفضل، وقُثم، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله ﷺ،[١] ثم نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري الخزرجي من بني عوف، وكان من أهل بدر فقال: يا علي ننشدك الله وحظنا من رسول الله، وكان يريد السماح بمشاركة الأنصاري في الغسل وهو واحد منهم فقال علي رضي الله عنه له: ادخل فدخل معهم.[٢]

وقيل أنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه (أمرهم أن يغسله بنو أبيه).[٣] وكان أمراً طبيعياً وتلقائياً حتى لو لم يأمرهم أبو بكر رضي الله عنه بذلك، ومن الأرجح أنهم وضعوه على سريره في الحجرة للغسل لثبوت صلاتهم عليه وهو على سريره ﷺ.

وقد غسلوا النبي ﷺ دون أن ينزعوا لباسه ﷺ، ففي

ج٤/٦٥٥.

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٢.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل، باب ما جاء في وفاة النبي ﷺ ص٢٠٠، وقال الألباني صحيح انظر هامش الرواية.

رواية لعائشة رضي الله عنها قالت: (لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا، ألقى الله عز وجل النوم حتى ما بهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه، وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة تقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله غير نسائه).(١)

وهذا رأيها لاختصاصهن بجواز النظر إلى جسده الطاهر كاملاً. وهذا ما فُعل بأبي بكر عند موته، طلب أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس (رضي الله عنها).(٢)

ومن المؤكد أن الميت يكون في باطنه ما يحتاج إلى تنظيف

(١) رواه أبو داود في ستر الميت عند غسله واللفظ له، ٣١٤١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٢؛ ورواه ابن حبان وصححه الذهبي؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٢٧٦؛ وانظر: العلي، صحيح السيرة، ص ٧٢٣؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٦، وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٥١٨

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج

لكــن الرســول ﷺ لم يجـدوا فيـه ذلــك، فقـد ورد أن (علياً ﷺ التمس مـن الـنبي مـا يلـتمس مـن الميـت فلـم يجـدوا شـيئاً، فقال: بأبي وأمي طبت حياً وميتاً).[١]

كـان غســل رســول الله ﷺ بالمـاء والسـدر،[٢] وكـان علـي ﷺ يسـنده إلى صـدره وعليـه قميصـه، وكـان العبـاس وابنـه الفضـل وقـثم يقلبونـه مـع علـي ﷺ، وكـان أسـامة بـن زيـد وصـالح مـولى رسـول الله ﷺ يصـبان المـاء، وعلـي يُغسـل ويدلك والقميص دون أيديهم.[٣]

ثـم أُدرج ﷺ في ثـوبين أبيضـين وبُـرد حـبرة (وتعـني ثيـاب يمنيـة مخططـة)،[٤] وقيـل أنهـا كانـت مـن القطـن (الكـرفس). وقـد ورد عـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالـت: (كفـن رسـول الله ﷺ في ثلاثـة أثـواب سـحولية بـيض).[٥] وكـان غسـله مـن بئـر

(١) رواه ابـن أبي شـيبة، المغـازي، ص: ٤١٦، وابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٤/٥١٩

(٢) ابـن كثـير، السـيرة النبويـة، ج٤/٥٢٠؛ وابـن سـعد، الطبقـات، ج ٢ / ٢٨٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٦٦٢.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٦٦٣.

(٥) ابـن سـعد، الطبقـات، ٢ / ٢٨١، أنظـر: عنـوان: صـفة كفنـه ﷺ عنـد ابـن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٥٢٢.

بقباء يشرب منها ﷺ، وتسمى بئر سعد بن خيثمة.[١] وهذا دليل على نقاء ذلك الماء وطهارته وتميزه عن غيره.

وقالت عائشة (رضي الله عنها): (كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة)،[٢] وذكر أنه أُبقي على قميصه الذي كان عليه تحت الكفن.[٣]

وقد وُضع رسول الله ﷺ على السرير بعد تكفينه، فتشاور المسلمون في الصلاة على النبي ﷺ، فكان رأي أبي بكر الصديق ﷺ أن لا يُخرج ﷺ من المكان الذي توفي فيه قالوا: (يا صاحب رسول الله ﷺ أيصلى على رسول الله ﷺ قال: نعم، قالوا كيف؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله أيدفن رسول الله؟ قال: نعم، قالوا

(١) ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٤١٦.

(٢) من رواية **البخاري** في كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص، حديث رقم: ١٢٧١، ١٢٧٢؛ و**مسلم** في صحيحة، كتاب الجنائز "في كفن الميت"، ج٩٤١/٤٥.

(٣) انظر: **أبو داود**، كتاب الجنائز، باب الكفن ٣٥٣.

أيــن؟ قــال في المكــان الــذي قــبض الله فيــه روحــه، فــإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب فعلموا أن قد صدق).[١]

ثــم دخــل النــاس يصــلون عليــه أرســالاً، يــدخل الرجــال حتــى إذا فرغــوا أُدخــل النســاء، حتــى إذا فــرغ النســاء، أُدخــل الصــبيان. ولم يــؤم النــاس علــى رســول الله ﷺ أحــد،[٢] وكــان المصلون يرونه أنه أمامهم وهو ميت ﷺ.

ولا شــك أن هــذا الأمــر تطلــب ترتيبــاً وتنظيمــاً، حيــث أن الكــل يرغــب في الصــلاة علــى رســول الله ﷺ والمكــان ضــيق، فاحتــاج الأمــر شــيئاً مــن الترتيــب، ويبــدو أنــه كــان للســن دور في ذلــك، وقــد ورد أن أبــا بكــر الصــديق ﷺ روى عــن رســول الله ﷺ قــال: (سمعــت رســول الله ﷺ شــيئاً مــا نســيته قــال: مــا قــبض الله نبيــاً إلا في الموضــع الــذي يحــب أن يــدفن فيــه، ادفنــوه

---

(١) **رواه الترمــذي** في الشــمائل، ص ٣٧٨؛ ابــن هشــام، **الســيرة النبويــة**، ج٤/٦٦٣؛ وابــن ســعد، في **الطبقــات**، ج٢/٢٧٥؛ وانظــر تخريجــه عنــد العلــي، صــحيح الســيرة، ص ٧٢٦، وضــع البخــاري في صــحيحه في كتــاب الجنــائز، بــاب" مــا جــاء في قــبر النــبي ﷺ وأبي بكــر وعمــر (رضــي الله عنهما)"؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢١.

(٢) ابــن ســعد، الطبقــات، ج٢/ ٢٨٩؛ وابــن هشــام، **الســيرة النبويــة**، ج ٤/٦٦٣؛ انظر: ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٤١٢.

في موضع فراشه).[١]

وقد تكون المحبة للمكان من الله ليكون قبر نبيه فيه، وقد تكون من النبي ﷺ للمكان، وكلها تتفق مع اختيار الله لموضع قبر نبيه ﷺ، كما اختار له مهاجراً، ولم نسمع أن أحداً من الصحابة أبدى رأياً آخر حول موضع قبر النبي ﷺ مخالفاً لرأي أبي بكر رضي الله عنه.

وأما الحفر لقبر رسول الله ﷺ فبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة توفي عدد من أصحابه، وكانوا أحياناً يلحدون لحداً وهو الشق في جدار القبر، وأحياناً يشقون شقاً،[٢] وهو الحفر في وسط القبر، وهي طريقة أهل المدينة، وكلها متبعة بحسب من كان يقوم بإعداد القبر. ولما مات رسول الله ﷺ (اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم، فقال عمر لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً، أو كلمة نحوها فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن رسول

---

(١) رواه **الترمذي** في كتاب الجنائز، ص ١٠٨؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٢٦٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١١.

(٢) انظر: صحيح **البخاري**، كتاب الجنائز، باب اللحد والشق في القبر، ج٢/٩٦.

الله ﷺ).[١]

وقد ورد أن الذي كان يلحد هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وكان يحفر لأهل المدينة، وأن الذي يشق هو أبو عبيدة بن الجراح، وأن الذي بعث يدعوهما هو العباس بن عبد المطلب ﷺ، فجاء الأنصاري أولاً فلحد لرسول الله ﷺ،[٢] ولذلك أحب الناس عموماً والصحابة خصوصاً أن يُلحد لهم، فهذا سعد بن أبي وقاص في مرضه الذي مات فيه يقول: ألحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما صُنع برسول الله ﷺ.[٣]

ووافق اللحد ما كان يدعو به الصحابة، حيث كانوا بعد استدعاء الرجلين يقولون: (اللهم اختر لرسولك)،[٤] اللحد ما كتبه الله لرسوله.

كان الرسول ﷺ بجوار القبر حتى استكمل الناس رجالاً ونساءاً وصغاراً وكباراً الصلاة عليه في جوف الليل، من مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١١

(١)وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٤

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ح٤/٦٦٣.

(٣) **رواه مسلم**، في كتاب الجنائز، باب اللحد ونصب اللبن على الميت.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٦٣.

للهجرة الموافق ١٤ حزيران سنة ٦٣٣ م .

ثـم نُحـي السـرير عـن حفـرة القـبر، وأُدخـل ﷺ القـبر، حملـه علـي رضي الله عنه وعمـه العبـاس وابنـاه قـثم والفضـل ومـولاه شـقران، [١] وقيـل إن شـقران مـولى رسـول الله ﷺ وضـع قطيفـة كانـت لرسـول الله تحتـه كـان يفترشـها رسـول الله ﷺ ويلبسـها فقـال: والله لا يلبسـها أحـد بعـدك أبـداً، وذلـك خشـية أن يتنافس الناس عليها.[٢]

وقـد شـاركهم في ذلـك أوس بـن خـولي الأنصـاري رضي الله عنه، وحينمـا وضـع الرسـول ﷺ في قـبره نصـب عليـه اللـبن ليمنـع الـتراب (كمـا يفعـل في القبـور حالياً)، نشـاهدها بـنفس الطريقـة حتـى الآن، يتبعـون فيهـا مـا فُعـل برسـول الله ﷺ، ثـم بعـد إتمـام كمـال اللـبن وتطيينـه، أهـالوا الـتراب علـى قـبر رسـول الله ﷺ وذلك في جوف الليل.

---

(١) ابـن سـعد، **الطبقـات**، ج٢/٢٧٥؛ وانظـر: ابـن أبي شـيبة، **المغـازي**، ص ٤١٤، ٤١٥.

(٢) ابـن هشـام، **السـيرة النبويـة**، ج ٤ / ٦٦٤. والترمـذي، كتـاب الجنـائز، ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر، (١٠٤٧)؛

انظـر: **صـحيح مسـلم**، كتـاب الجنـائز، بـاب جعـل القطيفـة في القـبر، ٩٦٨ / ٩١.

تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) (ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء).(١)

وفي صباح اليوم التالي أذن بلال الفجر، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله بكى وبكى الناس، وظهر حزنهم على رسول الله ﷺ.(٢)

وقد بقي قبر الرسول ﷺ كما هو في حجرة عائشة (رضي الله عنها) دون إبراز أو رفع زائد عن مستوى الأرض،(٣) وهو ما طبق بمعرفة الصحابة لحديث رسول الله ﷺ الذي روته عائشة (رضي الله عنها) وعقبت عليه (أنه ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم بعده: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خَشي أو خُشي أن يتخذ مسجداً).(٤)

---

(١) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤/٦٦٤.

(٢) الندوي، **السيرة النبوية**، ص ٤١٤.

(٣) صحيح البخاري، عن أبي بكر بن عياش، عن سفيان الثمار أنه رأى قبر رسول الله ﷺ مسنماً، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، حديث رقم: ١٣٩٠.

(٤) **رواه البخاري**، في صحيحه، كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ

وقـد دُفـن أبـو بكـر ﷺ بعـد ذلـك بجـوار رسـول الله ﷺ ثـم اسـتأذن عمـر ﷺ أن يُـدفن معهمـا في نفـس الحجـرة عنـد وفاته، فأذنت له عائشة في قصة طويلة).[١]

وقبر أبي بكر أدنى من قبر الرسول ﷺ، وقبر عمر أدنى من قبر أبي بكر، وكلهم في اتجاه القبلة، بحيث إن رأس الصديق بحذاء كتف الرسول ﷺ، ورأس عمر بحذاء كتف أبي بكر الصديق ﷺ أجمعين، وأبو بكر خلف النبي ﷺ ومن خلفه عمر (رضي الله عنهما)، وأصبحا رفيقي رسول الله ﷺ في الحجرة الشريفة، كما كانا صاحبيه في حياته ﷺ أجمعين.[٢] وكانت القبور ترتفع عن الأرض أربعة أصابع.[٣]

كان أكثر الناس احتكاكاً برسول الله ﷺ أثناء مرضه وعند وفاته أقربهم إليه، سواء من النساء أمثال عائشة

وأبي بكر، وعمر رقم ١٣٩٠ .

(١) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٣/٩٤٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/٣٦٨.

(٢) انظر: كيفية استأذن عمر من عائشة في الدفن مع رسول الله ﷺ عند البخاري في صحيحه، حديث رقم ١٣٩٠.

(٣) القسطلاني، **المواهب اللدانية**، ج٣ / ٤٠١.

رضـي الله عنهـا وبقيـة أمهـات المـؤمنين، وفاطمـة بنـت رسـول الله ﷺ، أو مـن الرجـال كـأبي بكـر وعمـر وآل البيـت علـي والعبـاس وبنـوه، وانـس بـن مالـك، وأسـامة بـن زيـد ﭫ أجمعـين، ولـذلك نقلـت عائشـة (رضـي الله عنهـا) لنـا أخبـاراً ووصـايا عنـه لم ينقلـها أحـد آخـر، وهكـذا يتضـح أنـه كـان للنسـاء دور في مشـاركة الأمـة في العنايـة برسـول الله ﷺ وقـت حاجته لذلك، في مرضه الذي مات فيه.

ولعـل تمريضـه عنـد عائشـة (رضـي الله عنهـا) وفي حجرتهـا، وموتـه علـى صـدرها ﷺ، وكونهـا ملاصـقة لـه في آخـر أيامـه، أبـان عـن فضـلها ومكانتهـا عنـد رسـول الله ﷺ، وهـو أعلـم بهـا مـن غـيره ﷺ، وثقـة آل بيتـه وهـي مـنهم وائتمـان الأمـة إياهـا علـى أغلـى البشـر ﷺ، وكانـت شـابة حافظـة لكـل مـا صـدر عـن رسـول الله ﷺ مـن أقـوال وأفعـال، وقـد ثبتـت حكمـة رسـول الله ﷺ في أن يُمـرَّض عنـد عائشـة (رضـي الله عنهـا)، حيـث حفظـت عنـه ووعـت، كمـا كانـت لها محبة خاصة في قلبه وراحته عندها لا يجدها عند غيرها.

وبالتـالي فـإن معظـم الروايـات المتعلقـة بمـرض الرسـول الله ﷺ ووفاتـه وآخـر وصـاياه كانـت مـن طريـق أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا)، وهـذا أبـان فضـلها وعلمهـا لكـل ذي

عقل.

كما أن وجوده في بيت عائشة يتيح لأبي بكر الصديق ﵁ الدخول عليه والاتصال به ﷺ أكثر من غيره من الناس، وكان علي ﵁ وآل البيت مجاورين لرسول الله ﷺ متصلين به متفقدين له باستمرار، وكان آل البيت وآل أبي بكر الصديق مجتمعين ومعهم بقية المهاجرين والأنصار هم أحباب رسول الله ﷺ قبل وفاته وبعد وفاته، بينهم من التواد والتراحم والألفة إضافة إلى المصاهرة ما ليس بين غيرهم.

وحاشا لله أن نتصوَّر بينهم شيئاً من العداء والتنافر الذي لا يقبله أصحاب الطوائف بين علمائهم وأئمتهم المزعومين، فكيف يكون بين المصطفى ﷺ وأصحابه ومحبيه وأصهاره.

وكان أولى الناس بتجهيز رسول الله ﷺ وغسله هم أبناء أبيه الأقربين، يعني أبناء عبد المطلب وأحفاده، وقد تولوا هذا الأمر بكل أمانة، وهم الأولى في مثل هذا الموقف دون تقصير من بقية الصحابة. وكان أكثرهم عملاً ومباشرة لتجهيز جسد رسول الله ﷺ الشريف علي بن أبي طالب ﵁ ابن عمه، مع عمه العباس وأبنائه وموالي رسول الله

ﷺ، وبمشاركة رمزية من الأنصار ﭫ.



رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الرابع

العالمية والدولة الإنسانية

- دعوة الرسول ﷺ عالمية للناس كافةً، ولذلك فقد حرص منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل، وعَرْض الدِعوة عليهم.

- في حجة الوداع كانت الخطبة دستوراً للإنسانية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيها توحيد الله، وحفظ حقوق الناس البدنية والروحية والمادية، وحفظ كرامة المرأة، والحرص على أداء الأمانة لأهلها، وبدأ نظام عالمي جديد يعتمد اقتصادياً على منع الربا، وأمنياً على نسيان الماضي وما فيه من الدماء، والحرص على حقنها حاضراً ومستقبلاً، والتحذير من الشيطان وإفساده بين الناس لسفك الدماء.

- وكان التأكيد على المساواة وبناء المجتمعات البشرية على ما نظمه لها خالقها في التفاهم والمعيشة المشتركة والحياة المدنية الإنسانية القائمة على الأسس الصحيحة .

- كان التنظيم النبوي لأعمال الإدارة وترتيب الدولة ووظائفها وما حمله من أمثلة في الإدارة السياسية، والمالية، والعسكرية، والاجتماعية، الفعالة والمتميزة، حيث جمع ﷺ بين الدين والدنيا. قامت دولته ﷺ على السلام والعدل والأمان لمن تحت لوائها، مسلمين وغيرهم. اتسعت بالتدرج حتى شملت بلاد العرب قاطبة وامتدت لعلاقات خارجية مع القبائل العربية والدول المجاورة.

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس
للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة